محمود أحمد حماد

# المجتمع الإسلامي
## كيف يُبعث من جديد

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٨٧٠

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٠٣هـ — يناير ١٩٨٣م

جميع الحقوق محفوظة

دار النضامن للطباعة
٢٢ شارع سامى - ميدان الأظرغلى
القاهرة - تليفون ٣٠٥٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

# رسالة القرآن

القرآن رسالة الله الى البشر وهو مجمل تعاليم الاسلام ، والدين لا يتعلق بأمر السماء وحدها ولا بشأن الآخرة وكفى .. وانما هو اولا وقبل كل شيء لصلاح الحياة على هذه الأرض وتحقيق انسانية الانسان على اكمل صورة ممكنة لا يمكن لأى عقل بشرى ، ولا كل عقول البشر مجتمعة أن تأتى بأفضل مما جاء فيه لأنه هدية الخالق الى الخلق وهو أعلم بهم من أنفسهم وأدرى بما فيه صلاحهم وسعادتهم ورقيهم وما يستحقون به كل تكريم يقول تعالى : **« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة »** (١) ... فما يتناسب مع هذه الخلافة أن يكون الدستور المنزل لهدايته خاص بصلاحيته لهذه الخلافة فى الأرض اى فى المكان الذى اختاره الله له وبمقدار نجاح كل فرد فى تحقيق رسالته يكون ثوابه يوم القيامة .

وسنحاول هنا عرض أصوله الأولى وقواعده الرئيسية فى صورة منظمة حتى لا نضل طريقنا فى تفاصيلها أو يتسرب اليها ما ليس منها فتكون هذه القواعد منطلقا لما يدخل تحتها من تفاصيل وهى تتركز فى خمس نقاط كل نقطة تتضمن ثلاث مسائل ولكنها كلها مترابطة فيما بينها بحيث تؤدى كل نقطة الى التى تليها وبعد الالمام بها اجمالا يمكن أن نتوسع فى التفاصيل .

والله الموفق .. وهو المستعان .

**« المؤلف »**

***

(١) البقرة : ٣٠ .

# الطوائف الثلاث

تنبهنا النقطة الأولى الى فئات البشر الثلاث وهم : المؤمنون .. الكافرون ... المنافقون ... وموقف الاسلام من كل منهم .

وفى فاتحة الكتاب بالذات نجد هذا التقسيم واضحا ثم الاشارة اليه بعد ذلك فى مختلف السور والآيات يقول تعالى : « **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » (١) . فالذين انعم الله عليهم هم المؤمنون الذين تفهموا أوامر الله وعملوا بها مخلصين ، والمغضوب عليهم هم المنافقون الذين علموا هذه الأوامر ولكنهم لم يعملوا بها كسلا أو جحودا او يتظاهرون بالدعوة والعمل امام المؤمنين ولكنهم لا يعتنقونها عن عقيدة ثابتة بل يظهرون غير ما يضمرون ، والضالون هم الكافرون الذين لم يتفهموا رسالة الله وبالتالى لم يعملوا بها لجهلهم وضيق افقهم وعمى بصائرهم .

ونحن لن نتدخل هنا وفى كل الخطوات القادمة بشىء من عندنا أو ندلى برأى ذاتى وانما سنورد الآيات الكريمة تتحدث هى ولن يكون جهدنا الا مجرد الربط والتنظيم ... لكى نعطى القارىء صورة واضحة عن اهداف القرآن كما هدانا الله اليها فى ايجاز ولكنه واضح جامع حيث يستطيع القارىء أن يتحرى مفهومه حينما يقرأه بعد ذلك من شرح وتفصيل ، فلا يختلط الأمر عليه بين ما هو من صميم الدين وما هو دخيل عليه .

---

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧ .

فنجد مثلا فى سورة البقرة وهى التى تلى الفاتحة مباشرة قوله تعالى فى أول سورة : « **الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** » ثم يقول عنهم « **أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون** » ، ويقول عن الكافرين « **ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم** » ويقول عن المنافقين « **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** » والقرآن يعطينا وصفا تفصيليا لهذه الطائفة الأخيرة لا كما كانت فى عهد الرسول وحده وانما تنطبق على أشباههم الذين يعيشون بيننا اليوم وفى كل زمان ومكان وتأمل السمات والملامح التى حددها القرآن فى دقة فتراها مجسدة فى سلوكهم وأقوالهم فيقول : « **واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون** » (١) .

فقد رأينا فى الآيات السابقة أن الأمر قد ازداد تحديدا ووضوحا فى وصف هذه الطوائف بأسمائها وموقف الاسلام من كل فريق وتجد وصف

---

(١) البقرة : ١ — ١٤ .

هذه الطوائف الثلاث فى آيات كثيرة من القرآن الكريم نذكر بعضها دون تعليق .

***

**اولا — يقول عن المؤمنين :**

**« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون » (١) .**

**« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ، تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » (٢) .**

**« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٣) .**

**« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٤) .**

**« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيـــاة الدنيا وفى الآخرة » (٥) .**

**« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية » (٦) .**

**« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا » (٧) .**

---

(١) البقرة : ٢٥ .
(٢) يونس : ٩ .
(٣) هود : ٢٣ .
(٤) الرعد : ٢٨ .
(٥) ابراهيم : ٢٧ .
(٦) ابراهيم : ٣١ .
(٧) الكهف : ٣٠ .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » (١) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » (٢) .

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » (٣) .

« قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون » (٤) .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا)(٥) .

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير » (٦) .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون » (٧) .

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (٨) .

هذه بعض أوصاف المؤمنين فى القرآن الكريم وما أعده الله لهم

---

(١) الكهف : ١٠٧ .
(٢) مريم : ٩٦ .
(٣) طه : ١٢٢ .
(٤) المؤمنون : ١ — ٣ .
(٥) النور : ٥٥ .
(٦) البقرة : ٢٨٥ .
(٧) العنكبوت : ٧ .
(٨) الحجرات : ١٥ .

من الجزاء فى الدار الآخرة فوق ما وعدهم به من العزة والتمكين فى هذه الحياة .

***

**ثانيا ــ وماذا عن الكافرين ؟ :**

ننتقل بعد هــذا الى ماورد فى القرآن عن الفئة الثانيــة وهم الكافرون يقول تعالى : « **ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام** » (١) .

« **ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ، واولئك هم وقود النار** » (٢) .

« **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك ســبيلا . اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** » (٣) .

« **وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا . الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا** » (٤) .

« **والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحســاب** » (٥) .

« **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزى كل كفور . وهم يصطرخون فيها ربنا**

---

(١) آل عمران : ٤ .
(٢) آل عمران : ١٠ .
(٣) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .
(٤) الكهف : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٥) النور : ٣٩ .

**اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ، أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير » (١) .**

**« الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » (٢) .**

هذه بعض الآيات التى وردت فى الفئة الثانية وما أعده الله لهم من سوء الجزاء فى الآخرة مع تعاستهم فى هذه الحياة .

***

**ثالثا ــ المنافقون :**

ثم نذكر بعض الآيات التى وردت فى الفئة الثالثة يقول تعالى :

**« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا » (٣) .**

**« بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » (٤) .**

**« ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » (٥) .**

**« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، اتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا . ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » (٦) .**

---

(١) فاطر : ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) محمد : ١ .
(٣) النساء : ٦١ .
(٤) النساء : ١٣٨ .
(٥) النساء : ١٤٠ .
(٦) النساء : ١٤٢ ــ ١٤٥ .

**« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم »(١)**

**« يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، وبئس المصير » (٢) .**

**« اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » (٣) .**

وهكذا نجد القرآن يؤكد أن المؤمنين وحدهم هم الرابحون فى الدنيا والآخرة وأن الكافرين والمنافقين هم الخاسرون فى الآخرة والدنيا جميعا وقد جاء فى القرآن الكريم ذكر ثلاث سور بأسماء هذه الطوائف الثلاث : سورة المؤمنون ، وسورة المنافقون ، والكافرون .

وبعد أن بينا مواقف القرآن من هذه الفرق الثلاث وما أعده الله لكل منهم جزاء عدلا على ما قدموا ننتقل الى النقطة الثانية التى تبين النعم الالهية على الانسان وأن من يكفر برب هذه النعم يلقى جزاءه الحق يوم القيامة غير الهوان الذى يلاقيه فى هذه الدنيا .

***

---

(١) التوبة : ٦٧ ، ٦٨ .  (٢) التوبة : ٧٣ .
(٣) المنافقون : ١ .

الفصل الثانى

# النعم الثلاث

تشير النقطة الثانية الى النعم الالهية على الانسان .. والنعم الالهية لا حصر لها وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله : « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » (١) ، ولكن حينما نتصفح أصولها فى القرآن الكريم نجدها تنحصر فى ثلاث نعم رئيسية تتفرع منها كل هذه النعم التى لا تحصى وهى :

١ ــ خلق الانسان على هذه الصورة جسدا وروحا وتمييزه عن بقية المخلوقات .

٢ ــ تسخير ما فى الكون لمنفعته ومتعته .

٣ ــ هدايته بالتعاليم الدينية التى تجعله يعيش على اكمل صورة ممكنة بحيث يمكن الانتفاع بمواهبه وامكاناته وجزاءه على ذلك بالنعيم المقيم فى الآخرة .

**النعمة الأولى ــ الانسانية :**

خلق الله الانسان مميزا عن باقى المخلوقات من جماد ونبات وحيوان وهى نعمة كبرى اختص الله بها الانسان . فالجماد مثلا لا ينمو ولا يحس ولا يفكر ، والنبات ينمو ولكن لا يحس ولا يفكر ، والحيوان يحس ولكنه لا يفكر . أما الانسان وحده فهو الذى ينمو ويحس ويفكر ومنحه الله الأخلاق والعواطف وهداه للايمان ولذلك

---

(١) ابراهيم : ٣٤

جعله وحده اهلا للتكليف والسيادة على الأرض . يشير القرآن الى هذه المزايا بقوله « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (١)، وقوله : « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** » (٢) اى قبل أن يحمل أمانة التكليف .. وللتكليف معنيان متناقضان . تكليف يقصد به الاذلال .. وتكليف يقصد به التشريف ..

الأول .. نابع من الاستبداد والغطرسة ..

والثانى .. نابع من الاحترام والثقة ، فمن النوع الأول استبداد الحاكم الظالم بشعبه فيفرض عليه من القوانين ما يجعله مسخرا لخدمته أو استبداد السيد بعبده . الثانى كتكليف رئيس الدولة احد الأفراد بتشكيل الوزارة أو تكليف الشعب احد افراده بالقيادة السياسية أو العسكرية أو الدينية . فهو تكليف تشريف نتيجة لثقته وحبه وهو المعنى المذكور فى الآية لعلمه سبحانه وتعالى أن الانسان جدير بالتكليف والتشريف فهو الذى خلقه وهو اعلم به لأنه لو لم يكن اهلا لهذا التكليف لكان معنى هذا انه يكلفه بما لا يستحقه أو بما هو فوق طاقته وهذا لا يجوز بالنسبة لعدالة الله . ويقول سبحانه « **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** » (٣) ، ويقول : « **والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (٤) ، ويقول « **ألم نجعل**

---

(١) الاسراء : ٧٠ .
(٢) الأحزاب : ٧٢ .
(٣) الانسان : ١ ــ ٣ .
(٤) النحل : ٧٨ .

**له عينين . ولسـانا وشفتين . وهديناه النجدين »** (١) ويقول : **« الذى احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون »** (٢) ، ويقول : **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسـونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين .»** (٣)، وقد اختاره ليكون خليفته فى أرضه فيقول : **« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسـماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما انبأهم بأسمائهم قال الم اقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ..»** (٤) ، وقـد كرمه الله بأن جعله محل النفخة الالهية فيقول : **« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له سـاجدين . فسـجد الملائكة كلهم أجمعـون »** (٥) ، فالسجود لآدم لم يكن للانسان جسدا وانما لأنه مستقر النفخة

---

(١) البلد : ٨ ــ ١٠ .
(٢) السجدة : ٧ ــ ٩
(٣) المؤمنون : ١٢ ــ ١٤ .
(٤) البقرة : ٣٠ ــ ٣٤ .
(٥) الحجر : ٢٨ ــ ٣٠ .

من الروح الالهية وهو تكريم ليس بعده تكريم ولعل من الاشارات اللطيفة الى عظمة الانسان قوله تعالى « **تبارك الذى بيده الملك** » (١) وقوله : « **فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء** » (٢) ثم قوله مبكتا لابليس « **ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى** » (٣) ويد الله فى هذه الآيات كناية عن القدرة ولكنه اشار الى الملك باليد والى الملكوت بيد والى الانسان بقوله « **لما خلقت بيدى** » وهذه اشارة الى عظمة الانسان بالنسبة للملك والى الملكوت . هذا بعض البيان عن النعمة الأولى .

***

**النعمة الثانية ــ التسخير الكونى :**

أما النعمة الثانية التى تعدل هذه النعمة فهى انه لم يخلقه مميزا عن باقى المخلوقات فحسب .. وانما سخر له ما فى الكون كله ليكون سبيل وجوده فى عمره المقدر له على هذه الأرض وقد اجمل ذلك فى قوله تعالى : « **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** » (٤) ، وقوله : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** » (٥) ثم اشار الى تفصيل ذلك فى آيات اخرى كقوله : « **الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** » (٦) ، وقوله : « **وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا ،**

---

(١) الملك : ١ .
(٢) يس : ٨٣ .
(٣) سورة ص : ٧٥ .
(٤) البقرة : ٢٩ .
(٥) الجاثية : ١٣ .
(٦) البقرة : ٢٢ .

انـــه لا يحب المسرفين • ومن الأنعـــام حمـــولة وفرشـــا ، كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشـــيطان ، انه لكم عدو مبين • ثمانية ازواج ، من الضـــأن اثنين ومن المعز اثنين ، قل ا الذكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشـــتملت عليه أرحام الأنثيين ، نبئونى بعلم ان كنتم صادقين • ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ، قل ا الذكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه ارحام الأنثيين »(١)، وقوله : « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش » (٢) ، وقوله : « الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وســـخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار • وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » (٣) ، وقوله « والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون • وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » (٤) ، وقوله : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها اثاثا ومتاعا الى حين • والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم من الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » (٥) ، وقوله : « الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها ســـبلا وأنزل من الســـماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى • كلـــوا وارعوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى » (٦) ، وقوله : « والسماء

---

(١) الأنعام : ١٤١ — ١٤٤ .
(٢) الأعراف : ١٠ .
(٣) ابراهيم : ٣٢ ، ٣٣ .
(٤) الحجر : ١٩ ، ٢٠ .
(٥) النحل : ٨٠ ، ٨١ .
(٦) طه : ٥٣ ، ٥٤ .

**بنيناها بايد وانا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون »** (١)، وقوله : « **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشـــاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . انا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التى تورون . أأنتم أنشأتم شـــجرتها أم نحن المنشئون »** (٢) ، وقوله : « **والأرض وضعها للأنام . فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام . والحب ذو العصف والريحان . فبأى آلاء ربكما تكذبان »** (٣) ،

هذه بعض الآيات التى تشير الى نعمة تسخير ما فى الكون لخـــدمة الانســـان فى القرآن الكريم تذكيرا لنعمة الخالق عـــلى بنى آدم ، ومع ذلك فلم تتركه تائها حائرا يبحث عن سر هذا الوجود ومن أبدعـــه بل هداه اليه وقرب طريقه فى البحث عنـــه فأخبره بوجوده سبحانه وتعالى وعرفه به فى كتابه ليستقر على الايمان قلبه فلا يتزعزع أو يضل فى متاهات الفلسفة .. ومن هنا ندرك نعمة الايمان للمؤمنين .

***

**النعمة الثالثة ــ الهداية الدينية :**

أما النعمة الكبرى فهى الهداية الدينية لأن هاتين النعمتين السابقتين لا قيمة لهما مالم يتكاملا بالهداية الدينية فيكونان بذلك الانسان المثالى الذى يحيا حياة مثالية بقول تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** (٤) .

---

(١) الذاريات : ٤٧ ، ٤٨ . (٢) الواقعة : ٦٣ ــ ٧٢
(٣) الرحمن : ١٠ ــ ١٢ . (٤) المائدة : ٣ .

وشاءت رحمة الله بعباده ألا يسوق هـذه الآية كخبر مجرد من الدليل ولكنه يعطينا الدليل الواقعى والبرهان المنطقى الذى لا يتطرق اليه الاحتمال على صحة هذا الحكم فعن دليل الواقع يحدثنا القرآن عن أخبار الأمم السـابقة ومـا أحاط بها من الخسف والعذاب لما كذبت رسلها لتكون لنا العبرة مما حدث لهم يقول لرسوله **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »** (١) ، فالرسول كان حريصا على نجاة قومه لعلمه أن سعادتهم فى الدنيا والآخرة لا تكون الا باتباعهم لما أوحى اليه وكان يضايقه اعراضهم عنه وعنادهم له فكانت مواساة القرآن فى ذكر قصص من سبقه من المرسلين فيقول : **« وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ، والى الله ترجع الأمور »**(٢) ويقول : **« وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود . وقوم ابراهيم وقوم لوط . وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم ، فكيف كان نكير »** (٣) ، ثم يعطينا العبرة لما حدث لهم فيقول : **« انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية »** (٤) ، ويعقب القرآن الكريم عـلى أخبـار الأمم السابقة فى سورة الشعراء بقوله : **« ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين »** (٥) فيقول فى قصة موسى وفرعون : **« قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما ، ان كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون . قال**

---

(١) هود : ١٢٠ .
(٢) فاطر : ٤ .
(٣) الحج : ٤٢ ــ ٤٤ .
(٤) الحاقة : ١١ ، ١٢ .
(٥) الشعراء : ٨ .

**رب المشرق والمغرب ومـا بينهما ، ان كنتم تعقلون . قـال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين . قال أو لو جئتك بشىء مبين . قال فأت به ان كنت من الصادقين . فألقى عصـاه فاذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين . قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون »** (١) ثم يعقب القرآن بعد ذكر نهاية القصة بقوله **« وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثـم أغرقنا الآخرين . ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين »** (٢) ثم يذكر قصة ابراهيم عليه السلام وصراعه مع قومه ومحاولة هدايتهم الى دين الله وهم معرضون ثم تصوير ما يلاقون من العذاب فى الآخرة وما يظهرون من الندم اذ يقولون **« فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين »** (٣) يوم لا ينفع الندم يقول القرآن **« واتل عليهم نبأ ابراهيم . اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون »** (٤) ثـم ينتهى الحـوار بذكر هـذه الآية **« ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين »** (٥) وكذلك قصة نوح وعاد وثمود ويختم قصتهم بهذه الآية .. وهذه الأخبار القرآنية تذكير لنا وتحذير لنعلم قيمة الدين واهميته وان فى اتباعه السعادة وفى الاعراض عنه الشقاء والدمار .. وقد يحلو لبعض المتحذلقين ان يقول ان هذه الأخبار القرآنية لم تذكر فى كتب التاريخ فنقول لهم ان كنتم تؤمنون بالقرآن فلا شك فى صـدق اخباره وان لم تؤمنوا

---

(١) الشعراء : ٢٣ — ٣٥ . (٢) الشعراء : ٦٥ — ٦٧ .
(٣) الشعراء : ١٠٢ . (٤) الشعراء : ٦٩ — ٧٤ .
(٥) الشعراء : ٦٧ .

فنحن نحيلكم الى ما رواه التاريخ بكل تفاصيله فى قصة رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام فحينما بعث الرسول بالهدى ودين الحق كان قومه يتمتعون بالنعمتين الأوليين وهما نعمة الانسانية ونعمة التسخير ولكنهم لما حرموا من نعمة الهداية الدينية كانت حياتهم على الصورة المنحطة التى دونتها كتب التاريخ ، والفارق واضح بين حياة الجاهلية وحياة الاسلام فما الذى حـــول حياة هؤلاء الأجلاف من الظلم والفساد والكبر والانحراف والهمجية الى الحياة المشرقة الوضـــيئة السامية التى بهرت العالم فى حينها ولا تزال تبهره حتى الآن ... لم يجد فى حياتهم شىء الا هذا الدين وهذا الرسول الذى بلغ رسالة ربه ولقد قاوموها أول الأمر أشد المقاومة لما فيها من تغيير شامل لحياتهم وطرق معيشـــتهم ولكنهم بدأوا يؤمنون بها شيئا فشيئا لما بدا لهم من سموها وجمالها وأصـــبح منهم هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين يشرف تاريخ الواحد منهم أمة كاملة فهل بعد هذا الدليل الواقعى الذى دونته كتب التاريخ يبقى مجال لمكابرة أو جدال ؟ وبعد هذا الدليل الواقعى يعطينا القرآن الدليل المنطقى الذى لا يتطرق اليه احتمال فيقول : « **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصـــارا وأفئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** » (١) فالقرآن يوضح بصريح العبارة أن نعمتى الانســـانية والتســـخير لا قيمة لهما ولا جدوى منهما ان لم يتكاملا بالنعمة الدينية والهداية السماوية وأن الأمم السابقة كانوا يتمتعون بالنعمتين : نعمة التمكين فى الأرض ونعمة الانســـانية ولكن ذلك لم يغن عنهم شيئا ولم يوصـــلهم للسعادة والفلاح وهنا يجرنا الحديث الى ماهية الدين واصوله .

---

(١) الأحقاف : ٢٦ .

# الفصل الثالث

## الواجبات الدينية الأساسية

بعد هذه المقدمة التى تحدثنا فيها عن مزية الايمان وأهميته وبيان النعم الالهية على الانسان وأهمها الهداية الدينية التى هى تمام النعمة ندخل الى موضوع الدين نفسه لنرى كيف يكون فى تعليمه سعادة البشر ولن تكون فى غيره بأى حال من الأحوال .. لذلك فالقرآن يشير الى أهميتها بالتكرار الذى يفيد التوكيد فيقول « **ان الدين عند الله الاسلام** » (١) ، ويقول : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٢) ، ويقول : « **قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين** » (٣) ، وقوله : « **ان الحكم الا لله ، امر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (٤) وقوله : « **فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم** » (٥) ، وقوله : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام** » (٦) وقوله « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** »(٧) ونحب ان نبين أن الدين لا يقوم على العبادة وحدها كما يتوهم عامة الناس ، ولكنا نجده فى القرآن الكريم يقوم على

---

(١) آل عمران : ١٩ .
(٢) آل عمران : ٨٥ .
(٣) الأنعام : ١٦١ .
(٤) يوسف : ٤٠ .
(٥) الروم : ٣٠ .
(٦) الأنعام : ١٢٥ .
(٧) الصف : ٩ .

ثلاثة أركان أساسية بعد الايمان بالله وهى الأخوة والأخلاق والعبادة وهى الأنشطة العلمية للدين وفقدان ركن منه يهدمه كله ويشل فاعليته فى اثراء الحياة وسعادة الانسان كما يجب أن ننبه الى قصور الفكر الدينى السائد عن انبعاثه كحركة مؤثرة فى مجرى حياة الفرد والمجتمع والعالم ، فالدراسة الدينية الآن تنحصر فى ثلاثة اتجاهات نظرية : ناحية دينية بحت كعلوم الفقه واصول الفقه والتوحيد والتفسير والحديث وغيرها ، وناحية تاريخية كعلوم السيرة للنبى عليه الصلاة والسلام واصحابه ، ثم التاريخ الاسلامى عامة كتاريخ الدولة الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية وغيرها ، وناحية ثقافية كعلوم اللغة والنحو والصرف والمنطق والبلاغة والفلسفة وغيرها .. ولكنا لم نتنبه الى الدين كحركة بعث وانتفاضة حياة تصل الحاضر بالأمجاد الماضية .. وما حققه الدين فى مراحله السابقة من اليقظة الانسانية والحضارة الشاملة فى كل ناحية من نواحى الحياة لنتمم ما بداه السابقون .

وهذا هو دورنا فى بيان نقطة الانطلاق الجديدة التى تحل المسلمين المكان اللائق بهم فى قيادة الركب البشرى الى السعادة والرقى والتقدم بعد ما عجزت فلسفات العصر الحديث على تنوعها وكثرتها من تقديم الحل المنشود ولكى نصل الى مضمون الرسالة الاسلامية التى تعمل على خلق الفرد الصالح والمجتمع الصالح حسب توجيهات القرآن الكريم نقدم هذا البيان من نصوصه :

**أولا ــ الأخــوة :**

نحن نعلم أن الانسان اجتماعى بطبعه فالانسان الفرد لا يستطيع أن يحقق كماله المادى أو المعنوى الا بتفاعله وتآلفه مع الآخرين من أبناء جنسه والقرآن يضع يدنا على هذه الحقيقة فى صورتها الصحيحة

التى لا يمكن أن نجدها فى غيره من كل ما كتب المفكرون والحكماء وعندما نذكر هذا الحكم الاسلامى وفق قواعد أصول الفقه نشعر بأسف عميق أن غفل مفكرو المسلمين فى جميع العصور عن استنباط هذا الحكم الأصيل مع أنهم استنبطوا كثيرا من التفريعات التى لا تصل أهميتها الى أهمية الحكم الأساسى ، وترتب على غفلتهم ما نحن عليه اليوم من تخلف وجمود وقعود عن اللحاق بغيرنا مع أن موقفنا يجب أن يكون فى محل القيادة والتوجيه يقول تعالى : «**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**» (١) حتى نسب هذا التخلف الى تعاليم الاسلام لا الى غفلة المسلمين عن أصوله الرئيسية وهذا ما يجعلنا نركز على أهمية هذا الحكم والاسراع فى تنفيذه ولا نكتفى بالعلم به ثم نتكاسل عن تحقيقه ... فعلماء الاسلام قسموا أحكامه الى خمسة أقسام : فرض وسنة ومباح ومحرم ومكروه . وحديثنا هنا عن حكم الفرض وما ثبت من خلاصة أقوالهم من أن منكره كافر بدينه وتاركه هادم لدينه والكافر والهادم فى نهاية الأمر يستويان وقد اعتبروا المصادر الأساسية للاسلام هى القرآن والسنة وعرفوا الفرض بأنه الأمر القرآنى القاطع تعززه السنة أو تفسره وعلى حد تعبيرهم هو ما كان قطعى الدلالة قطعى الثبوت ، ثم بينوا ما يجوز وما لا يجوز ، وما ينبغى تأويله وما لا ينبغى .

فمن بين ما يجوز الاجتهاد فيه ما ورد بنص قرآنى يحتمل التأويل ولم تفسره السنة كقوله تعالى فى كفارة اليمين « **فكفارته اطعام عشرة مساكين** » (٢) فرأى بعض الفقهاء أن طعام مسكين

---

(١) البقرة : ١٤٣ .  (٢) المائدة : ٨٩ .

واحد عشرة أيام يجزى كاطعام عشرة مساكين وحجتهم فى ذلك أن المقصود بالكفارة هى العقوبة المالية لاطعام المساكين وهى تتحقق باطعام مسكين واحد عشرة أيام لكن آخرين تمسكوا بظاهر النص وقالوا : لابد من اطعام عشرة مساكين ، وكذلك مما يجوز الاجتهاد فيه اذا نزل نص قرآنى وبينته السنة عددا ولكنها لم تحدد كيفيته فيجب الالتزام بتفسير الرسول للعدد لأنه مأمور بالبيان لقوله تعالى « **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » (١) ولكنهم قد يتأولون بالكيفية مثال ذلك كقوله تعالى : « **وآتوا الزكاة** » (٢) ولم يبين عددها ولا كيفيتها وهنا تكفلت السنة ببيان العدد فقال عليه الصلاة والسلام : « فى كل أربعون شاة سائمة شاة » وهنا تم الاجماع على فردية الزكاة ولكنهم تأولوا فى كيفيتها فقال فريق يجزى عن الشاة ثمنها نقدا فقد يكون أنفع للفقير منها عينا أما الفريق الآخر فتمسك بظاهر النص وقالوا بل يجب اخراجها عينا ولا داعى للتأويل فهذا أيضا مجال آخر للاجتهاد .

أما ما أجمعوا على ما لا يجوز الاجتهاد فيه فهو ما ورد بنص قرآنى وفسره الرسول ﷺ عددا وكيفا أو قام بتطبيقه عمليا وهو الحكم القاطع الملزم لكل مسلم يكفر منكره مثال ذلك قوله تعالى : « **واقيموا الصلاة** » (٤) نص قرآنى صريح ولكنه لم يبين عدد الصلوات ولا كيفيتها ثم تكفلت السنة بذلك فحددت العدد بقول الرسول ﷺ : «فرض على المسلمين خمس صلوات فى اليوم والليلة» ثم بين الرسول ﷺ كيفيتها بأن أقامها عمليا وقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وبذلك أصبحت الصلاة بعددها وكيفيتها حكما واجب التنفيذ لا يجوز

---

(١) النحل : ٤٤ .
(٢) النور : ٥٦ .
(٣) النور : ٥٦ .

الاجتهاد فيه .. ونحن لا نريد أن نسترسل فى ذكر الأمثلة و. اتينا بهذا الحكم المجمع عليه لنتخذه مقياسا فى حكمنا على فرضية الأخوة ولم نكتف بشرح القاعدة الأصولية وحدها مجردة من التطبيق حتى لا يكون هذا الحكم محل مكابرة أو جدال .

يقول الله تعالى « **انما المؤمنون اخوة** » (١) ويقول « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » (٢) ويقول : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » (٣) . هذا عن الدعوة الى الأخوة والاتحاد والترابط .. ثم يحذر من الفرقة والتخاذل فى نص صريح فيقول : « **ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء** » (٤) ويقول : « **منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين . من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون** » (٥) . هذا عن النص القرآنى .

اما الأحاديث المعززة فكثيرة نختار من بينها قوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » ، وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وقوله : « ان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وبد الله مع الجماعة » .

وبعد بيان النص القرآنى والأحاديث المعززة له ماذا عن

---

(١) الحجرات : ١٠ .
(٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) التوبة : ٧١ .
(٤) الأنعام : ١٥٩ .
(٥) الروم : ٣١ ، ٣٢ .

التطبيق ؟ هنا لم يترك الرسول المؤمن فى حيرة ولم يترك لأحد مجال التأويل والاجتهاد فقال « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم اشار الى على وقال : «هذا أخى» وتبعه المسلمون فآخى بعضهم بعضا ، وعلى سبيل المثال نذكر أن أبا بكر تآخى وخارجة بن زهير وأن عمر تآخى وعبد الله بن مالك وعثمان تآخى مع أوس بن ثابت وحمزة مع زيد بن حارثة وأبو عبيدة بن الجراح مع سعد بن معاذ وعبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع وطلحة مع كعب بن مالك وجعفر بن أبى طالب — وكان غائبا فى الحبشة — مع معاذ بن جبل وهكذا ...

ومن خلال هذا العرض يتجلى لنا حكم الاسلام فى الأخوة واضحا لا يقبل التأويل ، ولا يحتاج الى جدال فى ثبوت فرضيته كبقية الفرائض وترتب على هذا أن كان الرسول يتفقد أصحابه فى الصلاة فاذا غاب أحدهم سأل عنه أخاه فيخبره عن سبب غيابه ان كان عنده علم به أو يذهب فيسأل عنه ويعود فيخبر الرسول عن سبب غيابه مما جعل المسلمين أسرة واحدة بهذه الرابطة الدينية المقدسة وكان هذا الاخاء سببا فى انتصارهم فى كل معاركهم وفى نشر دين الله فى رحاب الأرض وفى اقامة الحضارة الاسلامية الزاهية التى بهرت أنظار العالم مما ليس له مثيل فى السابق واللاحق من الحضارات فلما غفل المسلمون عن التنبيه الى هذا الحكم الاسلامى الأساسى .. أصبحوا فى مؤخرة الصفوف وحاق بهم من الهوان ما يتألم له كل مسلم وتخلوا عن مكانتهم من القيادة الرشيدة فأضاعوا أنفسهم وأضاعوا العالم معهم لأن قيادة العالم أصبحت بعيدة عن شريعة الله التى لا يصلحه غيرها مهما يبذل الفلاسفة والمصلحون من أفكار ومقترحات ، وحتى نؤكد أن هذا الحكم من أصول الاسلام التى لا يقوم الا بها نذكر مؤاخاة النبى لعلى بن أبى طالب بالذات وكذلك مؤاخاة جعفر لمعاذ بن جبل ،

فعلى بن أبى طالب هو ابن عم النبى ﷺ وزوج ابنته وقد تربى فى بيت الرسول فى صغره وكذلك تربى الرسول فى بيت أبيه أبى طالب ومع كل هذه الروابط المركبة آخى الرسول بينه وبين على بالذات ليبين لنا أن رابطة الاسلام فوق كل رابطة سواها وليقطع الطريق على كل محاول أو متأول فى سلامة هـذا الحكم وأنه من أصـول الاسـلام وكذلك حين آخى النبى ﷺ بين جعفر وهـو مهاجر فى الحبشـة وبين معاذ بن جبل وهو مقيم بالمدينة وذلك تأكيد سـليم على تأصيل هذا الحكم .

وأوضح من ذلك فان القرآن يبين لنا بصريح اللفظ أن أخـوة المسلم أغلى من كل كنوز العالم فيقول : « **هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** » (١) ونلاحظ هنا أنه ذكرها بأسلوب النفى لا الاثبات فلو قال : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا لألفت بين قلوبهم » لكان معنى ذلك أن هذه الأخوة تعدل كل كنوز الأرض ولكنه قال : « **ما ألفت** » بالنفى ليبين لنا أنها أثمن من كل الكنوز .. ولكن السؤال الآن يأتى هكذا .. لقد آخى الرسول بين أصحابه فى المدينة وكان يضمهم مسجد واحد فكيف نطبق هذا المبدأ الاسلامى الآن ؟ والمسلمون يعدون بالملايين وينتشرون فى آلاف المساجد ؟ والجواب يسير : فما دامت لدينا القاعدة فاننا نقيس عليها بأن يقوم امام كل مسجد بتطبيق الأخوة فى مسجده فيؤاخى بين كل أثنين من المسلمين ويعلمهم أن للمسجد وظيفتان : احداهما دينية للعبادة ، والأخرى اجتماعية بين المسلمين . وقد ربط الاسلام بينهما فلا تصلح هذه الا بتلك ، والرسول يقول « جعلت لى الأرض مسجدا

---

(١) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

وتربتها طهورا » فأى امرىء حل بأى أرض فليصلى ، ومع ذلك فهو يقول أيضا « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرون درجة » فالعبادة خارج المسجد صحيحة ومقبولة ولكنها مع الجماعة يتضاعف أجرها مرات لما فى الجماعة من تعزيز الألفة والأخوة والآيات والأحاديث عن أهمية المسجد تثبت هذا المعنى يقول تعالى : **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله »** (١) ويقول : **« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »** (٢) ويقول : **« ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها »** (٣) ومن احاديث الرسول ﷺ قوله « الا ادلكم على ما يكفر الله به الخطايا ؟ كثرة الخطا الى المساجد » ويقول : « سبعة يظلهم الله يوم القيامة تحت ظل العرش يوم لا ظل الا ظله ـ وذكر من بينهم ـ رجل تعلق قلبه بالمساجد » وهكذا .. فاذا تمت الأخوة فى المساجد فاننا يمكننا أن نربط بينها جميعا سواء بدأنا بها محليا ثم صعدنا الى العاصمة أو بدأنا من العاصمة نزولا الى القرية .. لنفرض أن نبدأ بها فى حدود محافظة كمحافظة المنيا مثلا فيقوم مدير الأوقاف .. بدعوة مفتشى المراكز للأوقاف ثم يوضح لهم هذا الحكم ويطلب منهم أن يدعوا ائمة المساجد كل فى منطقته ويوضح لهم الحكم ويطالبهم بتطبيقه فتقام رابطة المسجد ثم يجتمع الأئمة فى كل قرية فى مجلس ليؤلفوا رابطة القرية ويختار واحد منهم ليكون عضوا فى رابطة المركز ومن كل مسجد يختار عضو من رابطة المسجد فى المركز

---

(١) التوبة : ١٨ .
(٢) النور : ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) البقرة : ١١٤ .

للمحافظة ثم تقوم رابطة المحافظة بالاشراف على شئون المسلمين فى حدود المحافظة وبعد ذلك ندعو مديرو الأوقاف من باقى المحافظات ونعرض عليهم الحكم ونطلعهم على طريقة تنفيذه فتقوم باقى المحافظات بذلك ثم نختار من كل محافظة مندوبان فى الرابطة العامة بالعاصمة ثم ينشأ مجلس أعلى للاشراف على القطر كله عن طريق هذا الترابط وبذلك تتم الأخوة على مستوى الأمة كلها وتصبح المساجد وكأنها مسجد واحد ويشعر كل مسلم أنه أصبح أخا لكل مسلم .

أما لو بدأنا بها من العاصمة فيقوم بذلك مجلس مشترك من علماء الأوقاف والأزهر ويقومون بدعوة مديرى الأوقاف فى كل محافظة ويطلبون منهم ما وضحناه سابقا .. وهذا يعتبر اقتصادا للوقت ثم يتألف من هؤلاء العلماء مجلس تأسيسى مؤقت يتم تجديده بالانتخاب فى المدة التى يقررونها وعند ذلك تتحقق كلمة الله فينا « **أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » (١) ولكنها ليست كأى أمة متحدة غايتها الاتحاد وكفى ولكن لها مواصفات خاصة حددها القرآن بقوله « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » (٢) وشعارها قوله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »(٣) ويدعو هذا الى الدعوة فى سبيل الله حتى يشرق نور الاسلام على كل الأرض فيقول « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** » (٤) أى وليكن من مجموعكم يا بنى آدم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. ومما يؤكد هذا المعنى أنه عبر بكلمة أمة ولم يعبر بكلمة طائفة كما اشار

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) آل عمران : ١١٠ .
(٣) المائدة : ٢ .
(٤) آل عمران : ١٠٤ .

عن التخصص فى العلوم التى لا تتيسر لكافة الناس نظرا لاشتغالهم بالأعمال الأخرى فى باقى مجالات الحياة فقال : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » (١) وحينما نتعمق مضمون الآية الكريمة « **انما المؤمنون أخوة** » (٢) نجدها تخص المؤمنين وحدهم فى هذا الحق ولم يقل : انما الناس اخوة .. لأن الأخوة لاتكون الا بين مؤمن ومؤمن أما غير المسلم فالموقف منهم المسالمة حتى يؤمنوا .. فاذا قمنا بتطبيق هذا الحكم فاننا نكون قد حققنا النعمة الأولى من نعم الهداية الاسلامية وأقمنا المجتمع الاسلامى وندلل على ذلك بدليل واقعى ملموس فنحن ننفق على الدعوة الاسلامية مئات الملايين من الجنيهات كل عام نقتطعها من أقواتنا ونلقى بها فى البحر من غير أن تجزينا شيئا .. خذ مثلا ... اكثر من ثلاثين ألف مسجد فى مصر وحدها تكلفنا عشرات الملايين من الجنيهات كل عام ويقف على منابرها أكثر من ثلاثين ألف خطيب يلقون خطبة الجمعة فهل حققنا بهذا شيئا ذا قيمة أم أنها مجرد كلمات عابرة يضيع أثرها بعد سماعها .

وعشرات الملايين بل ومئاتها التى تنفق على وزارة الأوقاف والأزهر والمعاهد الدينية ومجمع البحوث الاسلامية ومحطة اذاعة القرآن الكريم وتحقيق التراث الاسلامى والبعوث الاسلامية والمجلات والكتب الدينية والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية والمؤتمر الاسلامى والجمعيات الاسلامية وغيرها وغيرها .. هل استطاعت كل هذه الجهود أن تنشىء مجتمعا اسلاميا ؟ ومع أن الأخوة وحدها تقيم المجتمع الاسلامى وتشد أزر المسلمين وتعيد لهم عزتها

---

(١) التوبة : ١٢٢ .  (٢) الحجرات : ١٠ .

الضائعة لا تكلف الدولة أو الشعب قرشا واحدا فأى سفاهة تكون لو قصرنا فى تحقيقها .. وليس معنى ذلك أن هذه الأجهزة غير لازمة فهى ضرورة من ضرورات المجتمع الاسلامى لنشر الوعى الدينى وازدهار الثقافة الاسلامية ولكن لما غاب هذا الحكم الاسلامى الأصيل عن أذهان المجتهدين أصبحت هذه الأجهزة عاجزة عن أداء وظيفتها لتفكك أوصال المجتمع ولم يعد الناس يحسون لها أثر أما بعد تطبيق هذا الحكم فيمكنها أن تؤدى رسالتها كاملة وتؤتى أطيب الثمرات .

***

**ثانيا ــ الأخلاق :**

الأخلاق فى الفكر الاسلامى عامة سواء الفكر الدينى أو الفكر الفلسفى قائمة على ركنين هما :

١ ــ الدافع الخلقى .  ٢ ــ القيم الخلقية .

فالدافع هو الحافز الذى يجعل المرء يلتزم بعمل أخلاقى معين حتى وان كان ضد منفعته ، والقيم هى العمل المادى المجسد لهذه الدافع ولكن الاسلامى يمتاز عن كل التفاسير الفلسفية للأخلاق للحكم الصائب ويجعل الأفكار الأخرى متخلفة وراءه فى هذا المضمار ... والالتزام بالدافع الخلقى فطرة لدى البشر ولكنهم يختلفون فى اخلاصهم لهذا الدافع وفى تطبيقهم لبعض القيم وسنرى من المقارنة أن الفلسفة الفكرية للأخلاق قد قصرت عن المفهوم الدينى الذى أنزل على محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرنا مع انتعاشها فى العصور الأخيرة على يد كثير من عمالقة المفكرين .. لقد أجمع مفكرو الأخلاق تقريبا على أن الدافع الخلقى هو الجزاء الذى

يتمثل في جزاء المجتمع أو الجزاء القانوني وان كان بعض المحدثين قد أشار الى جزاء باطني ولكنهم لم يحددوا تعريفه فقال بعضهم بالضمير أو الواجب أو الحاسة الخلقية .

وقد جاراهم مفكرو الاسلام فقالوا بالجزاء الأخروى الوارد في الكتاب ووقفوا عند هذا الحد ولم يتعمقوا في سر الدافع الديني الكامل في سر مفهوم الآيات .. فمن مضمون آيات القرآن نرى أن الدافع الخلقي هو الجزاء الذاتي وليس أي جزاء خارجي سواء أكان جزاء دنيويا أو أخرويا والجزاء الذاتي أي الاطمئنان النفسي واحساس السعادة بنبل العمل الخلقي وما ينطوي عليه من سمو وشرف ، وأهم من ذلك أنه لم ينظر الى الأخلاق كفرع مستقل كما يرى علماء الأخلاق وانما يجعله ركيزة الحياة المثلى بكاملها مرتبطا بكل القيم العليا في وحدة عضوية لا انفصام لها فنراه يسمي عمل الخير بلغة الفلسفة : العمل الصالح ، والعمل الصالح لا يكون جزاؤه خارجيا وانما مبعثه الجزاء الذاتي الذي ترتبط فيه سعادة المرء بعمل الخير فيكون انسانا نبيلا يشعر بأن عمل الخير نابع من فطرته لا يتكلفه ولا يضيق به ولا يبذله لقاء أي جزاء ولا يتعارض هذا مع ايمانه بالجزاء الأخروى مادام يؤمن بالله واليوم الآخر .

فالعمل الصالح اذن هو ما يصدر عن نفس صالحة تسعد به كما يؤلمها عمل الشر فتنفر منه يقول تعالى « **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها** » (١) كما أن العمل الصالح هو ما يصلح النفس ويزكيها فيقول : « **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها** » (٢) والعمل الصالح هو ما تطمئن له

---

(١) فصلت : ٤٦ .

(٢) الشمس : ٧ — ٩ .

النفس ويأنس بـــه القلب فيقول : « **يا أيتها النفس المطمئنـــة . ارجعى الى ربك راضية مرضية** » (١) فاذا فهمنا معنى العمل الصالح بأنه ما كان بدافع الجزاء الذاتى نجد صورة العصر وحدها تعتبر منهجا كامل الحياة كما يريدها القرآن للمسلمين فتصبح هذه الصورة معادلة منطقية لهذه الحياة ... فالجزاء الذاتى يترتب عليه مبدأ الحق من طريق الاقناع لأن المجتمع الذى يسود فيه مبدأ الجزاء الذاتى يكون مبرءا من الارهاب والخداع فلا يفرض على أفراده الحكم بغير دليل ولا يستغل قدرته المنطقية فى الخداع والتمويه وانما يستغل هذه القدرة فى البحث عن الحقيقة لذاتها فى صورة مقنعة تدفع بالمجتمع الى الرقى والتقدم ، وحينما يسود هذان العاملان يترتب عليهما الثقة لأن فقدان الثقة فى اى مجتمع يكون نتيجة الاستغلال والخداع . فاذا توفرت هذه المبادىء الثلاثة كان الحب نتيجة حتمية لها وبما أن ملكات الانسان العليا بعد الايمان هى العقل والخلق والعاطفة وقد وجدت ســـبيلها للانطلاق فيكون قد تحقق لكل فرد حريته لتحقيق ذاته واذا تم لكل فرد تحقيق ذاته على هذه الصورة فقد تحققت الحياة المثلى لأول مرة فى التاريخ واذا وصـــل المرء الى هذه الدرجـــة من الرقى الروحى والصفاء النفسى والتكامل الاجتماعى فقد أصبح الطريق أمامه الى الصـــلة بالله على أرقى مستوى وبذلك يتم التكامل والربط بين الايمان والعمل الصالح كما يبينه الاســـلام وحتى نتأكد من ما وضحناه فاننا يمكننا تحـــويل الصـــورة الى معادلة منطقية تعطى يقين المعادلة الرياضـــية فى الدقة والوضوح

الجزاء الذاتى + الحق من طريق الاقناع = ثقة .

الجزاء الذاتى + الحق من طريق الاقناع + الثقة = حب .

---

(١) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

الجزاء الذاتى + الحـــق من طريق الاقنـــاع + الثقة + الحب = حرية .

الجزاء الذاتى + الحـــق من طريق الاقناع + الثقـــة + الحب + الحرية = حياة مثلى .

الجزاء الذاتى + الحـــق من طريق الاقناع + الثقـــة + الحب + الحرية = حياة مثلى + الايمان = دين الاسلام .

ومن هنا ندرك قول الامام الشافعى حينما قال عن هذه السورة : لو لم ينزل غيرها من القرآن لكفت . وندرك وصية رسول الله ﷺ لاصحابه اذا التقى اثنان منهما الا يفترقا حتى يقرأ احدهما للآخر صورة العصر (١) .

وحتى نتأكد من صحة هذا التفسير نأتى بدليلين آخرين يعززان ما ذهبنا اليه ..

## الدليل الأول :

ان هـــذه السورة تناولها قبلنا كثير من المفسرين عـــلى مر العصور فلم يربطوا بين أجزائها لأنهم لم يتبينوا سر التوجيه الدينى فى معنى العمل الصالح كما وضحناه وانما نظروا الى فضائلها كبقية الفضـــائل المنتشرة فى ثنايا القرآن . فاذا رأينا ان معنى العمل الصالح ما كان بدافع الجزاء الذاتى ثم رأينا السورة تترابط على

---

(١) لنا كتاب فى هذا المعنى بعنوان الحياة المثلى وكيف نحققها صـــدر فى سلسلة اقرأ عام ١٩٦١ رقم ٢٢٢ ، يمكن العودة اليه للالمام الكامل بهذا التحليل .

هذه الصـــورة فتمثل منهجا للحياة يختلف عن جميع المناهج التى قدمتها كل الفلسفات فنطمئن الى هذا التفسير .

**الدليل الثانى :**

فى الكتب الرياضية ككتب الحساب مثلا نجد المؤلف يضـــع الجواب فى ورقة من الكتاب كمرشد للطالب حينما يصل الى الحل الصحيح ليطمئن على صـــحة تقديره وعندنا جواب بهذا المعنى فى سورة الرعد حيث يقول تعالى : « **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب** » (١) فكلمة ( طوبى ) معرفة فلسفيا بأنها المجتمع المثالى أو المدينة الفاضلة او الحياة المثلى فنرى أن الانسان اذا آمن بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق منهج الحياة الدينى نال سعادة الدارين بأن يحيا حياة مثالية فى مجتمع مثالى مـــع حسن المآب فى الآخرة وبذلك يكون مفهوم هذه السورة قد جمع بين الفردوس السماوى والفردوس الأرضى معا وهو دليل آخر على صدق هذا التفسير .. ووجه الاعجاز فى القرآن الكريم أنه لم يكتب بحثا مطولا فى مجلدات كالبحوث الفلسفية وانما يحصر ذلك فى بضع كلمات بينما نرى آلاف الأبحاث التى قام بها الفلاسفة لم تستطع حتى الآن أن توفر للبشر حياة صحيحة حتى فى هذا العمر المحدود .

فالتوجيه الدينى يختلف عن التوجيه الفلســـفى فى نقطتين : الأولى أنه لم يعتمد على الجزاءات الخارجية سواء اكانت دنيوية أو أخروية وانما اعتمد على فطرة الانسان ذاته وأن عمل الخير تعبير عن ذاته بصرف النظر عن الدوافع الأخرى والتوجيه الدينى يقوم بتذكيره ان غفل عنه فى زحمة الصراع الدنيوى فهو أصل من اصول

---

(١) الرعد : ٢٩ .

الدين .. الثانى : انه لم ينظر الى الأخلاق كفرع مستقل يتناوله علماء الأخلاق وانما اقامه ركيزة للحياة المثلى وتحقيق الانسان لذاته .. ومما يعزز هذا المعنى أن القرآن يعتبر الظالم انما يظلم نفسه اولا فيقول : « **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه** » (١) ويقول : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** » (٢) ويقول : « **ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون** » (٣) ويقول : « **وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون** » (٤) اى انا لم نظلمهم بما امرناهم به وانما هم ظلموا انفسهم لعصيانهم بما أمرناهم به ومن الواضح أن الظالم انما يظلم نفسه أولا قبل أن يظلم غيره ، فالله قد أودع الضمير فطرة فى كل نفس والضمير ينتعش بالخير ويفزع من الشر فالذى يقترف الشر يظلم نفسه بايذاء ضميره وهو عنصر من مقوماته الذاتية ثم ينال حقد المظلوم وغضبه بل وانتقامه أن امكنته فرصة ثم تسوء سمعته فى مجتمعه بحذرهم منه وابتعادهم عن معاملته وفوق ذلك له عذاب الآخرة يوم القيامة .. ومن يعمل صالحا يرضى ضميره ويحظى باحترام مجتمعه ورضا ربه وثواب الآخرة ، وبالموازنة بين المكسب والخسارة نجد الخسارة اضعاف اضعاف ما يكسبه من الظلم .. والضمير هو السلاح القوى الذى منحه الله للانسان ليقاوم به نزعات الشيطان ذلك العدو اللدود ، الذى حذرنا الله منه فى كثير من آياته فيقول : « **ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير** » (٥)

---

(١) النساء : ١١٠ ، ١١١ . (٢) آل عمران : ١٣٥ .
(٣) يونس : ٤٤ . (٤) آل عمران : ١١٧ .
(٥) فاطر : ٦ .

ويقول : « **وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا** » (١) ويقول : « **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلا** » (٢) ويقول : « **يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر** » (٣) فالشيطان عدو جبار ماكر ولكن الله وهب الانسان السلاح المضاد الذى يقهر به كيد الشيطان فالذى لا يستجيب لصوت ضميره انما يلقى سلاحه لعدوه كما ان الضمير هو باب الطريق الى الله وكلما ازداد ارتفاعه كلما قرب الانسان من ربه ، فلننظر الآن مدى ظلم الانسان لنفسه حينما لا يستجيب لصوت ضميره .. فالدافع الخلقى لا يستورده الانسان من الخارج وانما هو اصيل فى فطرته وكل ما عليه أن يعمل على تقويته بالتدريب والعزيمة فالأخلاق لا تقوم على الرغبة والرهبة وانما تقوم على الاستجابة والنفور .. الاستجابة للقيم الخلقية الدينية والنفور من المنكر الذى نهى عنه الدين تحقيقا لقول الرسول ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ويقول تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » (٤) .. هذا عن الدافع الخلقى .

أما الجانب الآخر وهو القيم الخلقية أو الفضائل العملية فقد اهتدى البشر الى بعضها بفطرتهم وتجربتهم ولكنهم لم يتفقوا

---

(١) الاسراء : ٥٣ .
(٢) الكهف : ٥٠ .
(٣) النور : ٢١ .
(٤) النساء : ٦٥ .

عليها فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فما يكون فضيلة فى مجتمع يكون رذيلة فى مجتمع آخر ، وما يباح فى مجتمع يكون محظورا فى غيره فهى تختلف باختلاف التجربة والمعيشـــة ، فاذا صح لدينا تفسير الدين للدافع الخلقى فيجب أن نطمئن الى صحته .. الى تجديد القيم التى تصلح للناس فى كل وزمان مكان ... وقد اجتمع كثير منها فى سورة الاسراء والفرقان والحجرات وتفرق باقيها فى سور القرآن ففى سورة الاسراء يقول الله تعالى : (( **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن الســبيل ولا تبذر تبذيرا** )) (١) (( **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** )) (٢) (( **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه ســلطانا فلا يسرف فى القتل ، انه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة** )) (٣) ويقول فى سورة الحجرات : (( **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** )) (٤) ، (( **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســاء من**

---

(١) الاسراء : ٢٦ .
(٢) الاسراء : ٢٩ .
(٣) الاسراء : ٣١ ــ ٣٩ .
(٤) الحجرات : ٦ .

نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيهـا الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله توأب رحيم » (١) ، ويقول فى سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشـون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما . انها ساءت مسـتقرا ومقاما . والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما » (٢) ويقول فى سورة المؤمنون : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضـون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٣) .

وهكذا بقية الفضائل الخلقية فى القرآن الكريم فالذى يطيب نفسا لعمل هذه الخيرات ويضيق لضدها هو الانسـان الأخلاقى كما يريدها الانسان والأخلاق بهذا المفهوم .. أى ، بتحديد الدافع من جهة وتحديد الفضائل الخلقية من جهة أخرى هى النعمة الثانية

---

(١) الحجرات : ١١ ، ١٢ . (٢) الفرقان : ٦٣ — ٦٨ .
(٣) المؤمنون : ١ — ١١ .

من نعم الهداية الالهية بعد الاخوة فالالتزام بالقيم الخلقية وحده لا يكفى الا اذا كان بدافع الجزاء الذاتى كما أن دافع الجزاء الذاتى لا يجزى الا اذا التزم المرء بالقيم الدينية فكلاهما متمم للآخر لمعنى الأخلاق فى الاسلام .. فأى فلسفة بشرية أمكنها أن تصل الى هذا المستوى السامى حتى الآن ؟ فقيام الأخوة هو المناخ الطبيعى لتنمية الأخلاق وتأصيلها لأن الانسان ليس كائنا مسمطا منغلقا على ذاته وانما هو محكوم بقانون الفعل ورد الفعل ، فاذا عاش فى مجتمع متآلف متكامل تهذب خلقه ونما ضميره وسعد بما يسدى من الخير لمجتمعه وما يسديه المجتمع له من الخير ومن التأثير والتأثر من الفعل ورد الفعل يصل الى كماله الانسـانى .. وعلى العكس لو عاش فى مجتمع متنافر متباغض فان ردود الفعل من المجتمع تؤلمه وتنغص عليه عيشه وتشـل فاعلية ضميره ويكون رد الفعل بجانبه سواء بسواء ، جزاء وفاقا على ما يلقى من المجتمع فتضطرب الأحوال وتسوء العلاقات ويعم الشـقاء وتختفى القيم فلا يأمر بالمعروف ولا ينه عن المنكر وبذلك يخسر الانسان الدنيا والآخرة معا ... فالانسان شاء أم ابى لابد أن يتأثر بحال مجتمعه صلاحا وفسادا ولا يمكن لفرد أن يعيش بمعزل عن مجتمعه فالبذرة الطيبة ان وجدت السماد الصـالح والرى الوافى والمناخ الملائم اكتملت ونضجت واتت بأطيب الثمر واذا لم يتوفر لها هذا تضمحل وتصير هشيما فاذا لم تتم الأخوة بين المسلمين غلب سوء الظن وانعدمت الثقة وسيطرت عصابات الاجرام على المجتمع فلا نجد لها دفعا ولا مقاومة .. فبناء الانسان يجب أن يبدأ ببناء معنوياته أولا ، ثم بعد ذلك يتم بناؤه السياسى والاقتصادى وليس العكس . وعلينا أن نعتبر بما جرى فى أوروبا من الانحلال لاهتمامهم بالماديات وحدها على حساب الروح فلم تنفعها علومها المتقدمة ولا اقتصادها الوفير

بل جعلها ترتكز الى شريعة الغاب .. فالانسان ليس حيوانا اقتصاديا غايته توفير مادياته بل قبل ذلك يجب تمكين انسانيته واخلاقياته وارتباطه ببارىء الكون فلو اهملنا بناؤه الروحى بحجة بنائه الاقتصادى أولا لخسرنا الانسان نفسه بحيث لا يمكن تعويضه بالرفاهية المادية مهما اتسعت وتنوعت . وانما نضع الاقتصاد فى مكانه الصحيح كوسيلة لا غاية .. والنفس الانسانية تمور بشتى الانفعالات والغرائز والرغبات والدين وحده هو الذى ينظم هذه النزعات ويحدد وظيفة كل منها ويضعها فى مكانها الصحيح بحيث لا يصاب المرء بالانفصام والتمزق بين شتى الاتجاهات وانما يجعلها وحدة متآلفة متناسقة يشد بعضها بعضا فلنسلم أمرنا الى الله فيما هدانا ولنتوجه اليه بالشكر على ما حبانا من فضل لا نجده فى غير تعاليمه ولنتجه اليه وحده بالعبادة وهى النعمة الثالثة من الهداية الدينية .

***

**ثالثا ــ العبادة :**

لقد راينا أن الله سبحانه وتعالى قد هدى البشر الى نعمتى الاخوة والاخلاق لتوثيق الصلة بين المؤمنين .. وبين لنا أن هذه الصلة اغلى من كنوز الارض لأن الانسان لا يمكنه تحقيق كماله الانسانى الا بتفاعله مع الآخرين ونضرب مثلا لذلك بالعضو فى الجسم فكل عضو له وظيفة خاصة ولكن هذه الاعضاء لا يمكن أن تؤدى وظائفها الا اذا كانت تؤلف جسدا واحدا . أما لو انفصل عضو عن هذا الجسد فستشل فاعليته ويعجز عن أداء وظيفته . كذلك الانسان كعضو فى جسد المجتمع . فلو اكتفى الدين بهذا التوجيه لكان فضله لا ينكر خاصة اذا راينا أن الفلاسفة قد أجهدوا انفسهم على مر التاريخ فى محاولة رسم الطريق الى هذه الحياة فلم يفحلوا بدليل الواقع

الذى نعيشه ونشهده ولو أن فيلسوفا سما الى هذه الأفكار لتلقفتها البشرية وطبقتها بكل اهتمام .

ولكن الله تفضل على عباده فهداهم الى الصلة به أيضا عن طريق العبادة وجعل هذه القيم مترابطة يكمل بعضها بعضا فصلة الانسان بأخيه الانسان تعمل على صفاء روحه وتزكية خلقه فيكون أقرب الى الله .. وصلة الانسان بالله تزيده صفاءا وسموا وتجعله أوثق صلة بالانسان ... ولكن العبادة كالأخلاق لها حافز روحى بجانب الأركان العملية .. وهذا الحافز الروحى يتلخص فى الاقبال على الله فى الشكر والتعظيم والحب وكلا الجانبين مرتبط بالآخر فلا تصلح العبادة الا بهما . فالذى يؤدى الصلاة بأركانها العملية وحدها وهو فارغ القلب من تأمل العظمة الالهية واستحضارها فى صلاته لا تكون عبادة ولذلك نلفت نظر الغالبية العظمى بأن الصلاة تكون بالفرح للقاء الله كما يفرح المرء بلقاء من يحب والله سبحانه وتعالى أعظم من كل حبيب والعبادة لله وحده ارتقاء بالكرامة الانسانية حتى لا يتجه بها لغير مولاه يقول تعالى : « **قل افغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون** » (١) ويقول : « **قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين** » (٢) والله سبحانه وتعالى لخص لنا نعم الدين كله فى توثيق صلة المؤمنين ببعضهم وتوثيق صلتهم به فى هذه الآية : « **ان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون** » (٣) بهذا التحديد

---

(١) الزمر : ٦٤ .
(٢) سورة الكافرون .
(٣) الأنبياء : ٩٢ .

الذى بينه فى الكتاب عن طريق الاخوة والأخلاق والعبادة وتلك هى النعمة الكبرى التى اختص الله بها عباده المؤمنين . وهنا يحق لنا أن نقف قليلا لنلمح الترابط بين النقط الثلاث التى أشرنا اليها حتى الآن ففى النقطة الأولى بين أن البشر طوائف ثلاث : المؤمنون ، والكافرون ، والمنافقون .. وأن المؤمنون وحدهم هم الرابحون فى الدنيا والآخرة وأن الكافرين والمنافقين هم الخاسرين دنيا وأخرى وبين فى النقطة الثانية أصول النعم الالهية على العباد وهى :

١ ــ خلق الانسان على هذه الصورة جسدا وروحا .

٢ ــ تسخير كل ما فى الكون لخدمته .

٣ ــ هدايته بالتعاليم الدينية .

وأن النعمتين الأوليين لا قيمة لهما بدون نعمة الدين ثم أشار الى الأصول الأساسية للدين وهى الاخوة والأخلاق والعبادة لتوثيق صلة الانسان بالله وبالبشر فيغتنم السعادة من جميع أطرافها .. وهذه القيم الثلاث مترابطة فيما بينها لا تتم العبادة الا وهى مجتمعة كذلك لا يتم اسلام المسلم الا بتكاملها . وحتى نجعل هذه الصورة واضحة فى الأذهان نرسم دائرة للاسلام لنعرف من هو داخلها ومن هو خارج عنها فنرى البشر ينقسمون الى خمسة أقسام اثنان فقط داخل الدائرة وثلاثة خارجها ..

القسم الأول : من هم بلا ايمان ولا أخلاق وهؤلاء مرفضون تماما من الاسلام .

القسم الثانى : من كانوا على خلق ولكن بلا ايمان ... وهذا القسم مرفوض أيضا لأن الايمان بالله أصل الدين كله كما أن العبادة لايؤديها الا مؤمن .

القسم الثالث : هم المؤمنون بالله ولكن بلا أخلاق وهؤلاء أيضا خارج دائرة الاسلام وليس كما يظن البعض أن الاسلام ينعقد بمجرد الشهادة فان القرآن قد حدد بصريح اللفظ أن المؤمن بلا خلق يتساوى مع غير المؤمن يقول تعالى : « **هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك ، يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا** » (١) وآيات ربك قد تكون علامات الساعة وعلامات الموت المحقق وعندها كما يقول القرآن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن قد آمنت من قبل أو آمنت ولكنها لم تكسب من ايمانها خيرا من عمل صالح أو خلق قويم ، وهنا نرى القرآن سوى بين النفوس التى لم تؤمن أصلا أو التى آمنت ولم تكسب من ايمانها خيرا وشاهدنا على ذلك أيضا موقف أبى بكر حينما أمر بقتال مانعى الزكاة كما أمر بقتال المرتدين سواء بسواء .

القسم الرابع : مؤمن أخلاقى ولكنه منطو على نفسه عزوف عن الجماعة بعيد عن مشكلاتهم فهو ان كان داخلا فى محيط الدائرة الا انه لا يمثل مركز الدائرة لأن الفرد لا تتكامل انسانيته الا بالتفاعل مع الآخرين ومشاركتهم همومهم وأحلامهم .

القسم الخامس : هو المؤمن الأخلاقى المتلاحم مع المجتمع يؤثر ويتاثر ويأخذ ويعطى ويسير مع القافلة لا متخلفا عنها فهو الودود الذى يألف ويؤلف كما عبر عنه الرسول ﷺ وهو المسلم المثالى الذى يرجو الاسلام لأن الاسلام لم يأت ليخاطب الناس افرادا ولكن ليقيم مجتمعا اسلاميا يكون كل فرد فيه عضو فى هذا المجتمع

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

قلا قيمة للمسلمين وهم فرادى وان كانوا يتمتعون بالايمان والأخلاق
ومن هنا ندرك أهمية هذه النعم الثلاث فى ترابطها لقيام المجتمع
الاسلامى المنشود كما نضيف اضافة لابد منها لزيادة الايضاح فقد
رأينا علماء الدين قالوا ان شريعة الله تقوم على دعامتين أساسيتين :
حقوق الله وحقوق البشر . ولكنهم حينما قسموا أحكامها الى فرض
وسنة وغير ذلك جعلوا الفرائض ما كانت من حقوق الله وحده وهى
الفرائض التعبدية من صلاة وزكاة وحج ولم يتنبهوا الى الفرائض
الاجتماعية أو الانسانية مثل الأخوة والأخلاق .. وكذلك حينما
قالوا بتقسيم الفرض الى قسمين : فرض عين وفرض كفاية . اقروا
فرض الكفاية التعبدى وحده كصلاة الجنازة وصلاة الجماعة ولم
يتنبهوا الى فرض الكفاية الاجتماعى الذى يقوم عليه صلاح المجتمع
من أنواع العلوم والفنون كالطب والهندسة والطبيعة والكيمياء
والزراعة والصناعة والتجارة والصيدلة وغيرها وكانت نتيجة هذا
الفهم أن صلة الانسان بالدين لا تكون فى أوقات العبادة بينما يزاول
المرء اعماله المهنية الأخرى بعيدا عن الشعور الدينى وبذلك يحدث
الانفصـــام بين الدين وبين الحياة فيكون العمل للدين فى جانب
والعمل للحياة فى جانب آخر ، أما لو علمنا أن هناك فرض كفاية
اجتماعى وأن الانسان يمارس دينه فى كل أمور الحياة ســـواء
منها الجانب التعبدى أو الجانب الاجتماعى وبذلك ينتظم الدين
نشاط المرء كله فيصبح الدين هو الحياة والحياة هى الدين ويعلم
أن كل خطوة يخطوها الى عمله زارعا فى حقله أو عاملا فى مصنعه
أو موظفا فى مكتبه تقربه الى الله بنفس القدر حينما يخطو خطوته
الى المسجد فيحس بمتعة الدين فى كل عمل يقوم به فيؤديه باخلاص
ويقظة ضمير كما يقول الرسول ﷺ « ان الله يحب اذا عمل احدكم

عملا أن يتقنه » . فلا تكون صلة الانسان بالله حين العبادة وحدها ولكن فى كل حين يقول تعالى : « **قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » (١) .

ثم نسأل هل أمكن لأى فكر بشرى حتى الآن — أو حتى يمكنه فى المستقبل — أن يهتدى وحده فى يوم من الأيام الى هذه الدرجة العليا من السمو والكمال ثم هل يتفهم المسلمون هذه المعانى ويتحمسوا لتطبيقها ليحققوا لأنفسهم ما اراده الله لهم من الرشد والصلاح وليصلوا حاضرهم بماضيهم المجيد وليأخذوا مكانهم فى قيادة البشرية الى الهدى والفلاح .. « **أن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** » (٢) .

***

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) سورة ق : ٣٧ .

## الفصل الرابع

# الحرمات الأساسية

والحرمات الدينية هى التى يحرم على الغير أن يعبث بها أو يعتدى عليها . فبعد أن بين لنا سبحانه ما أوجب علينا لنعمل به فصل لنا ما حرم علينا لنتجنبه وهذا البيان فضل من الله سبحانه لأنه لولا بيان المحرم لاختلط الأمر علينا فلن نفرق بين ما ينبغى وما لا ينبغى ونحن قد رأينا أن من ثمرات الواجبات الاسلامية العمل على تدعيم كيان المجتمع والترابط بين أعضائه ، والعكس من ذلك عمل المحرم فانه يؤدى الى زعزعة كيان المجتمع وتخلخل بنيانه فمن نعمة الله علينا أنه بين لنا ذلك حتى يبقى المجتمع قويا ثابت الأركان يحقق لكل فرد سعادته وأمنه فما حرمه الله علينا ليس تقييدا للانسان ولكن ليسير الانسان فى الطريق الصحيح ولا يتخبط فى المسالك الملتوية أو يضل الطريق قال تعالى : « **وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه** » (١) وتفصيل المحرم مبسوط فى كتب الفقه ولكن أصولها ثلاثة وهى :

١ ــ حرمة المال . ٢ ــ حرمة العرض . ٣ ــ حرمة الحرية .

وحتى ندرك فضل الله علينا فيما أمر وفيما نهى ننظر الى موقف الانسان من باقى المخلوقات فالملائكة خلقوا من نور لا يأكلون ولا يتناسلون ولا يتنازعون فيما بينهم وانما دأبهم التفرغ لعبادة الله لذلك فهم لا يحتاجون الى بيان ما يجب وما يحرم عليهم .ومن

---

(١) الأنعام : ١١٩ .

ناحية أخرى نجد أن الحيوان الأعجم جسدا محضا لذلك فهو غير قابل للتكليف .. أما الانسان فهو روح وجسد أى مزيج من هذا وذاك فكان لابد أن توجد الحدود الفاصلة بين ما يجوز وما لا يجوز .. والانسان جسدا يعيش كما يعيش الحيوان للطعام والشراب والتنفس ولكنه مع ذلك يمتاز بملكات عليا خاصة به ان عرف كيف يستثمرها فى ضوء الهداية الدينية يكون فى درجة أرفع من الملائكة ، والانسان مجبور على الغرائز الجسدية التى تدفعه الى الطعام والشراب ليضمن بها وجود شخصه والى الاتصال الجنسى ليضمن بقاء نوعه ، وهنا فقط يشترك مع الحيوان فى هذه الجبلة ثم هو بعد ذلك يتمتع بالطاقات الروحية الخاصة به جعلته أهلا للتكليف ليميز الخبيث من الطيب وبسبب هذه الملكات الروحية استحق الخلود فى الدار الآخرة فالذى يعيش أسير جسده يتنازل عن رتبته الانسانية وينحط الى درك الحيوان وكذلك ليس مطلوبا منه أن يكون روحا محضا متفرغا للعبادة فهذه وظيفة الملائكة ، ولكن المطلوب منه ان يتلاءم مع دوره الانسانى الذى فطره الله عليه فيعطى لجسده حقه ولروحه حقها بلا اجحاف لأحدهما فيتحقق التناسب المأمول .. لذلك أرسل الله الرسل والكتب ليهديه الى ما يحفظ له توازنه بين الجانبين ولو كان الله يعلم أن بامكانه وحده أن يصل الى تحقيق هذا التوازن لما كانت هناك حاجة الى الرسالات لانارة السبيل .

***

**١١ ــ حرمة المال :**

الانسان مدفوع لطلب المال لحفظ وجوده والاستزادة من النعم المادية والدين لا يقف حائلا بينه وبين ذلك ولكن يحدد هذه الدوافع بشروط ثلاث .

١ ــ أن يجمعه من حلال .

٢ ــ أن ينفقه فى حلال .

٣ ــ أن يخرج منه حق الله والمجتمع الذى يعيش فيه .

وبعد ذلك يستمتع به كما يشاء ولكن دون اسراف لأن الاسراف فى اللذائذ المادية يؤدى الى عكسها من سقم الجسم والامه نتيجة الافراط يقول تعالى « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** »(١) .. فتحصيله يكون عن طريق العمل والميراث فلا يأكل اموال الناس بالباطل لقوله تعالى « **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون** » (٤) كما حرم أن يكون عن طريق الربا « **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ، ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لايحب كل كفار أثيم** » (٣) ، « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ، ان كنتم تعلمون** » (٤) فاذا اقرض المرء أخاه فالدين يخيره بين ثلاثة احتمالات اما ان يسترد دينه بلا زيادة فان لم يجد عنده يصبر عليه فلا يرهقه بالطلب ، فان كان فى سعة من المال يمكنه أن يتصدق

---

(١) الاعراف : ٣١ . (٢) البقرة : ١٨٨ .

(٣) البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ . (٤) البقرة : ٢٧٨ ــ ٢٨٠ .

عليه به في حالة العسرة وذلك أن نعمة المال يجب أن تكون مدعاة للتآلف لا للتنافر .. وحرم الله تطفيف الكيل عند الشراء ونقصه عند البيع فقال « **ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** » (١) وحرم أن يكون المال عن طريق السرقة فقال « **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** » (٢) كما حرم اكتنازه واحتكاره دون العمل به فقال « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم** » (٣) .

هذا عن طريق تحصيله .

أما عن انفاقه فيجب أن يكون أيضا فيما احل الله فلا ينفقه في الفسوق أو الخمر او الميسر فيقول : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (٤) ويقول : « **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (٥) وحرم أن يستعين به على اذلال الغير فيقول :

« **واما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه . ولم ادر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما اغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه** » (٦) .

وعن دعوته الى حق الله والمجتمع يقول : « **خذ من اموالهم**

---

(١) المطففين : ١ — ٣ .
(٢) المائدة : ٣٨ .
(٣) التوبة : ٣٤ .
(٤) المائدة : ٩٠ .
(٥) الانعام : ١٥١ .
(٦) الحاقة : ٢٥ — ٢٩ .

**صـــدقة تطهرهم وتزكيهم بها »** (١) ويقول : **« وفى اموالهم حق للسائل والمحروم »** (٢) ويقول : **« وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ، ان الله يحب المحسنين »**(٣) ويقول : **« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »** (٤) ويقول : **« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء »** (٥) .. وينهى عن تبذيره فى سفاهة لانه عصب الحياة فيقول : **« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما »** (٦) ويقول : **« ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »** (٧) وحرم الضن به عن انفاقه فى مجال استحقاقه فى المشروعات الاجتماعية والعمرانية فيقول : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »** (٨) ويقول : **« الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا »** (٩) .

وهكذا أحاطت به قضية المال من جميع نواحيه ليكون مصدر نعمة وسعادة للمجتمع يبعدعنه الحقد والجشع والاستغلال لتسود الثقة والاطمئنان . ولا نظن ان مذهبنا سياسيا أو اقتصاديا أحاط بموضوع المال كما أحاط الدين .

***

---

(١) التوبة ١٠٣ .
(٢) الذاريات : ١٩ .
(٣) البقرة : ١٩٥ .
(٤) البقرة : ٣ .
(٥) البقرة : ٢٦١ .
(٦) النساء : ٥ .
(٧) الاسراء : ٢٦ — ٢٧ .
(٨) آل عمران : ١٨٠ .
(٩) النساء : ٣٧ .

**٢ ــ حرمة العرض :**

شرع الله الزواج وحرم ما عداه وجعل الأسرة قوام المجتمع لأن الانسان يحتاج الى تربية طويلة فى رعاية الأبوين يتلقى منهما اصول دينه وقيمه وتقاليده وليس كالحيوان الذى لا يحتاج الى شىء من هذا ، لأنه غير قابل للتكليف . ولبيان أهمية الأسرة فى الاسلام فصل القرآن أمورها تفصيلا ولم يشر اليها اجمالا كبقية الواجبات فتكون الأسرة نعمة من نعم الهداية الالهية فيقول : «**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**»(١) والقرآن يذكرها قبل ذكر الطيبات من الرزق فيقول : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات** » (٢) وحرم الصـــلة غير الشرعية وجعلها احدى الكبائر التى لا تغتفر اذ قرنها بالشرك فقـــال : « **الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين** » (٣) وصيانة لهذه الحرمة فقد أقام الدين لها حدان من حدود العقاب لا حدا واحدا فالزانى حده الجلد أو الرجم والقاذف للمحصنات حده الجلد فقال : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاســقون** » (٤) وقال : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » (٥) وقد جعل الله هذا الدعاء على لســـان المؤمنين فقال : « **ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين** » (٦) فمن هم الأزواج الذين يكونون قرة العين ؟ هل الزوجة المنحرفة التى

---

(١) الروم : ٢١ .
(٢) النحل : ٧٢ .
(٣) النور : ٣ .
(٤) النور : ٤ .
(٥) النور : ٢ .
(٦) الفرقان : ٧٤ .

تصورها الأفلام فتبدل كل يوم عشيقا جديدا هى قرة العين ؟ هل الزوجة التى تعتبر بيتها مجرد فندق تلتقى فيه بزوجها ساعة النوم هى قرة العين ؟ هل الزوجة التى تعتبر الزواج وظيفة اجتماعية يدرأ عنها تهمة العنس ثم تسير على هواها هى قرة العين ؟ هل الزوجة التى تعتبر الزواج مجرد رخصة تبيح لها الانطلاق الى المحرم تحت ستار الزوجية هى قرة العين ؟ ... ثم هل الزوج الذى يهيم على وجهه فى شهواته الخاصة المنحرفة هو قرة العين ؟ هل الزوج الذى يقضى وقته كله فى ملاهيه وملذاته تاركا بيته وأولاده هو قرة العين ؟ .. وهل الذرية التى تكون ثمرة هذا الزواج هى قرة العين ؟ ... ان أعظم افضال الاسلام هى تدعيم كيان الأسرة واحاطتها بسياج من الفضيلة والعفاف بما أصدر من التشريعات التى تجعله ثابت الأركان قوى البنيان فماذا جنت البشرية بعد أن القت بنفسها فى غواية الشيطان وأصبح الأولاد غير الشرعيين يقدرون بالملايين ؟ ولعل هذه المأساة وحدها عبرة لمن انحرفوا عن مسار الهداية الالهية .

لقد بين الله سبحانه وتعالى أن الأسرة يمتد أثرها حتى الى الدار الآخرة ولا يقتصر على هذه الحياة فيقول « **ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وازواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم** » (١) ويقول « **يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون** » (٢) ويقول : « **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شىء** » (٣)

---

(١) يس : ٥٥ ـ ٥٨ . (٢) الزخرف : ٦٨ ـ ٧٠ .
(٣) الطور : ٢١ .

ويقول : « **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار** » (١) وبين حقوق كل من الأبوين والأولاد فعلى الأبوين الاشراف والتوجيه وعلى الأبناء البر والطاعة فيقول « **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم** » (٢) « **وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » (٣) « **يا بنى أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور** » (٤) ترى هل يصل هذا الصوت الى المشرفين على أجهزة الاعلام عندنا الذين يبذلون كل ما فى طاقتهم لهدم كيان الأسرة واشاعة الانحلال بين الشباب بما يذيعون وينشرون من سموم الأقلام المأجورة التى تثير الغرائز وتدمر القيم ؟ .. أم هم تجردوا نهائيا من كل معنى للكرامة والحياة ؟!

***

**٣ ــ حرمة الحرية :**

صيانة الحرية فى النظام الاسلامى تقوم على مبدأين : البيعة والشورى .. يقول تعالى « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم**

---

(١) الرعد : ٢٢ ــ ٢٤ .
(٢) لقمان : ١٣ .
(٣) لقمان : ١٥ .
(٤) لقمان : ١٧ ، ١٨ .

**وشاورهم فى الأمر »** (١) ويقول **« وأمرهم شورى بينهم »** (٢) فليس يكفى ان تتم البيعة لتطلق يد الحاكم على هواه بلا رقيب أو حسيب بل يجب أن تنتخب مع الحاكم لجنة للرأى والتوجيه لتعرض عليها كل ما يهم أمور المسلمين حتى لا يكون الرأى الفرد حكما فى كل الأمور يقول تعالى **« اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »** (٣) ولم يقل ولى الأمر وحده وكذلك لم يقل أولوا الأمر فيكم وانما قال أولوا الأمر منكم اى ممن تختارونهم منكم لا من يفرضون عليكم من الحاكم ولا يمثلونكم حق التمثيل .. والشورى فى الاسلام ليست مجرد الحكم النظرى ولكنها التطبيق العملى بما قام به الرسول فى كثير من المواقف نذكر من بينها مثالا واحدا يجمع معناها كلها وذلك حينما نزل الرسول ﷺ وأصحابه فى غزوة بدر بعيدا عن الماء فقام احد الصحابة وهو الحباب بن المنذر وقال : يا رسول الله .. أهذا منزل أنزلك الله اياه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه السلام :«بل هو الرأى والحرب والمكيدة» فقال : فلنتقدم اذن الى الماء ونبنى حوضا نشرب منه ولا يشربون . ونظر الرسول ﷺ الى أصحابه ولم يجد اعتراضا ثم ارتحل هو وأصحابه الى المكان الذى أشار به أصحابه المسلمين .. هذا الموقف يوضح لنا الشورى فى الاسلام فالرسول ﷺ ومعه كبار الصحابة والمستشارون المجربون الذين خبروا الحروب ومكائدها لم يعترضوا على ما عزم عليه الرسول اول الأمر ولكن واحدا من عامة المسلمين يرى غير هذا الرأى فيبادر باعلانه بغير تردد ثقة منه فى رحابة صدر الرسول ﷺ وحسن استماعه لما يبديه أى صحابى من رأى كما لم

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .
(٢) الشورى : ٣٨ .
(٣) النساء : ٥٩ .

يسخر منه الباقون أو يسفهوا رأيه . وبذلك أصبح مبدأ الشورى حقا لكل مسلم فى المجتمع الاسلامى وليس قاصرا على الأمير أو كبار المسئولين .

هذا رأى الاسلام فى الحرمات الانسانية وصيانتها حتى يعيش المجتمع فى أمان واطمئنان ويمكنه أداء الواجبات الدينية مادام مطمئنا على صيانة حرماته ، وهنا ندرك أهمية التوجيه الدينى فى مسائل الحرمات حتى يمكننا أن نتمتع بأداء الواجبات وفى كلا الجانبين نرى رحمة الله لعباده فى هدايتهم الى أقوم طريق .

وقد يقول قائل : لماذا لا تتحدث عن حرمة النفس وهى احدى الحرمات الدينية الأصيلة ؟ فأقول : اننا هنا نبحث فى المشاكل الأساسية للحياة الانسانية ونبين كيف وضع لها الاسلام الحل الصحيح .. أما جريمة القتل فليست مشكلة مختلف عليها بين أمة وأخرى لأنها مسألة واضحة بذاتها كما أنها لا تحدث الا نتيجة الصراع حول الاعتداء على الحرمات التى أشرنا اليها فليس لها دافع غريزى فى أساس الفطرة بحيث يمكن أن يكون مشكلة تتطلب الحل وبزوال الأسباب تترتب عليها تلقائيا زوال النتائج ، والرسول ﷺ يوضح لنا ذلك بقوله « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » فالرسول ﷺ يبين لنا بوضوح أن أسباب الصراع الدموى هى الظلم والشح . والظلم اعتداء ايجابى والشح اعتداء سلبى لأن حظوظ الرزق تتفاوت من فرد الى آخر .. هذا الرزق لا يأتى من فراغ وانما هو نتيجة نشاطه فى المجتمع الذى

يعيش فيه زراعة أو تجارة أو صناعة فمن واجبه للمجتمع الذى كان سبب رزقه الا يكون عقبة فى سبيله باحتجاز ما تجمع لديه من المال لأن تركيز المال فى يد أفراد يصيب المجتمع كله بالشلل والضيق ويترتب على ذلك الحسد ثم الصراع الدموى فى نهاية الأمر وهنا نرى أن جريمة القتل ليست مطلوبة لذاتها كالطمع فى المال أو العرض أو الاستبداد فاذا خلا المجتمع من هذه الأطماع اختفت هذه الجريمة بلا جدال .

***

الفصل الخامس

# الحضارة الإسلامية

عرضنا في النقط السابقة الأسس الدينية لايجاد الفرد الصالح والمجتمع الصالح بصورة متميزة تختلف عن كل الصور الأخرى التى عاشها الناس أو قدمتها عقول الفلاسفة والحكماء ، ورأينا أنها أفضل صورة ممكنة الا انها هدية الخالق الذى احاط بكل شيء علما .. وكل مجتمع نام متطور يترتب على وجوده حضارة متلائمة والا أصيب بالجمود والركود الذى يعقبه التدهور والانهيار ... وللحضارة دعائم ثلاث هى : الفكر والعلم والفن .. والدين يباركها جميعا ويدعو اليها ولا يقف حائلا دونها لكن الحضارة الاسلامية تختلف عن الحضارات الأخرى فى قيامها على أساس دينى فالحضارة القائمة بيننا اليوم حضارة زائفة لأنها لا تقوم على أساس الاسلام مع أنها تقوم على هذه الركائز الثلاث ولكن لأنها قامت بمعزل عن الهداية الالهية لم تنفعها أفكارها ولا علومها ولا فنونها وانما زادتها تعاسة وشقاء لأن الدين وحده هو أساس السعادة البشرية ، والحضارة التى لا تقوم عليه حضارة مادية بلا روح . فعظمة الحضارة الاسلامية أنها لا تبدأ من فراغ وانما تقوم أولا على تكوين الفرد الصالح والمجتمع الصالح الذى يبنى الحضارة الصحيحة على أساس سليم .

فالله سبحانه وتعالى لم يمنح الفكر للانسان ليقف به عند مرحلة معينة ولكن ليتعمق به فى أسرار نفسه فيطورها الى الأحسن والأكمل وليتعمق أسرار الكون بكشف قوانينه فيسخرها لمنفعته

وكلما ازداد الانسان تعمقا في أسرار نفسه وفي الكون ازداد قربا من الله واستحق بجدارة لقب الخلافة في الأرض وهنا نرد على بعض المتدينين المتزمتين الذين يحصرون الدين في دائرة العبادة وحدها وينادون بتحريم الفلسفة والفن أو التبحر في العلوم بحجة انها ليست من الدين وانها تشغل المرء عن العبادة ، فنقول لهم ان الحضارة الاسلامية نتيجة طبيعية للمجتمع الاسلامي ، وان ازدهار هذه الأدوات في المجتمع علامة صحة ودعائم بناء وليست هذه الأدوات شرا في ذاتها وانما شرها في سوء استعمالها والمجتمع الذي لا ينتج حضارة مطبوعة بطابعه يكون مجدبا عقيما لا ينمو ولا يتطور .

فالايمان والأخـــلاق وحدهما لا يقيمان مجتمعا متحضرا بالمعنى الكامل لأن المجتمع المتحضر هو الذي يعيش عصره ويواكب ســـير الزمن فيستفيد من ميراث الماضي ويضـــيف اليه الجديد من جهده ويطبعه بطابع شخصيته ممهدا لما يأتي بعده من تقدم ورقي في كل ناحية من نواحي الحياة لا ان يكون عقبة كؤودا في ســـير الزمن وعاطلا أو معوقا في مسيرة التاريخ . والعصر الاسلامي الأول كان وثبة لا نظير لها في اي عصر سابق أو لاحق لما فهم المسلمون دعوة الاسلام الى الحياة . والنكسة التي حدثت بعد ذلك كانت بسيطرة فريق من المتزمتين الذين فهموا الدين في اضيق حدوده فضاعوا واضاعوا وضلوا وأضـــلوا وكانوا نكبة على من جاء بعدهم من الأجيال .

فالدعوة الى قيام الحضارة الاسلامية على اسسها المعروفة من الفكر والعلم والفن دعوة شاملة في القرآن الكريم ولكن عظمة الاسلام انه مهد لها أولا بقيام المجتمع الاسلامي حتى لا تضـــل الطريق أو تنحرف عن سواء السبيل . وهؤلاء المتزمتون كانوا اضر على الاســـلام من اعدائه لأنهم فهموا أن الدين عدو الحياة وليس

صانع الحياة ثم نسبت آراؤهم ظلما الى الاسلام .. فما قيمة مجتمع بدون حضارة نابعة من روحه ؟ وكيف نغض الطرف عن كل ما فى الكـــون من أسرار وجمال وقوانين ؟ وكيف نتملىء اعجابا بعظمة الخالق الا بكشف هذه الأسرار المعجزة الباهرة وما فيها من خير وجمال .

فالدين يدعونا أن نفتح صدورنا للحياة بكل ما فيها ونقبل عليها بشغف العاشق فنستجلى كنوزها الدفينة بما أودع الله فينا من المواهب ولنضرب صفحا عن أقوال هؤلاء المخربين الذين تعطلت فى رؤوسهم عاطفة الشـــوق الى الحياة وتذوق ما فيها من الوان الجمال والجلال . الدين روح الحياة وسرها ولبابها ، والفكر والفن والعلم ادواته التى يفتش بها عن كنوزها مما ادخره فيها الخالق من النعم التى تتجدد على مر الزمان يقول تعالى مبكتا الغافلين من أمثال هؤلاء « **وكاين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضـــون** » (١) ولفظ « كاين » هنا للتكثير أى هناك آيات كثيرة ومعجزات باهرة فى هذا الكون يمر الغافلون عليها دون اهتمام فلا يحاولون كشف أسرارها أو الاستمتاع بجمالها أو التأمل فيهـــا وادراك عظمة الله فى صنعها فيزدادون له خشوعا وتوقيرا يقول تعالى : « **فاعلم انه لا اله الا الله** » (٢) اى انعم النظر واشـــحذ الفكر متأملا فى هـــذه العوالم الكونية وما تنطوى عليه من قوانين متناسقة ووحدة متآلفة لتدرك أنه لا اله الا الله ليس له من شريك . فالايمان المتفتح للعظمة الكونية هـــو الذى يدعو اليه الدين وليس الايمان الذى يقوم على الادراك الساذج والخيال المريض فالله قد خلق لنا الكون وسخره لمنفعتنا وابدع فيه من الوان الجمال ما لا حصر به فأى عقل مخبول يرفض هدايا الخالق لعباده ؟ وعـــلام يكون

---

(١) يوسف : ١٠٥ .  (٢) محمد : ١٩ .

الشكر لله ان لم يكن على هذه النعم السابغة الظاهرة منها والباطنة يقول تعالى : « **الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** » (١) فهل بعد هذا توضيح للحض على طلب العلم ودقة النظر والنفاذ الى أسرار هذه النعم فى الكون والباطنة فى النفس والملكات الروحية التى نهتدى بها الى التذوق والادراك .

وقبل أن نبدأ فى ذكر الآيات القرآنية التى تدعو الى استعمال هذه الأدوات نذكر لهؤلاء المتخلفين قصة حدثت أيام الرسول ﷺ لعل فيها العبرة .

ذهب ثلاثة من الصحابة الى احدى زوجات الرسول ﷺ يسألونها عن عبادة الرسول ﷺ فأخبرتهم .. فكأنهم رأوا أنها قليلة وقالوا : هذا رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما نحن فعلينا أن نجهد أنفسنا حتى نصل الى مرتبة القبول عند الله . فقال أحدهم : انى سأصوم الدهر كله ، وقال الثانى : انى سأقوم الليل كله ، وقال الثالث : وأنا لا أتزوج النساء . فلما علم رسول الله ﷺ بما قالوا دعاهم وقال لهم « أما والله انى لأخوفكم من الله وأتقاكم لله ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وهذه سنتى ومن رغب عن سنتى فليس منى » . وهذه القصة نهديها الى هؤلاء المعوقين الذين يريدون سد الطريق عن رحمة الله ثم ننظر الى دعوة القرآن الى الفكر الحر بذكر بعض الآيات الواضحة بذاتها .

**١ ــ الفكر :**

يقول تعالى : « **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، وما**

---

(١) لقمان : ٢٠ .

تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (١) ويقول : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (٢) ويقول : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت » (٣) ويقول : « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (٤) ويقول : « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون »(٥) ويقول : « أفمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولوا الألباب » (٦) وقوله : « لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ، أفلا تعقلون » (٧) وقوله : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٨) وقوله : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » (٩) وقوله : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا »(١٠) وقوله : « انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم » (١١) ... ونكتفى بهذه الآيات من القرآن الكريم لأن هناك آيات كثيرة حول هذه

---

(١) يونس : ١٠١ .
(٢) الأعراف : ١٧٩ .
(٣) الغاشية : ١٧ — ٢٠ .
(٤) البقرة : ١٧٠ .
(٥) الأعراف : ٥٢ .
(٦) الرعد : ١٩ .
(٧) الأنبياء : ١٠ .
(٨) الحج : ٤٦ .
(٩) الطور : ٣٥ .
(١٠) الفرقان : ٤٤ .
(١١) النمل : ٨٠ ، ٨١

المعانى الداعية الى اعمال الفكر والتأمل وتشديد النكير على من يغلقون عقولهم وقلوبهم عن النظر فى آيات الله الدالة على عظمته وقدرته ثم التأمل فى أسرار الهداية الالهية العميقة لما فيه صلاح الانسان التى تحتاج الى صبر طويل لاستخراج كنوزها ، فالله قد وهب الفكر للانسان لكى يقوم بوظيفته ولا يقف عاطلا حتى يطمئن على الايمان قلبه ، ويكفى أن نذكر أن أولى آيات التنزيل هى : **« اقرا باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرا وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم »** (١) أى مهما تمتد الأجيال فستتعلم علما جديدا لم يكن معروفا للسابقين وان كل جيل سيصل الى مالم يصل اليه سلفه بفضل هذه الموهبة الربانية : موهبة العقل الانسانى .

***

**٢ — العلم :**

هذا عن الفكر ودوره فماذا عن العلم فى القرآن الكريم ؟ هل هى دعوة هامشية ام هى دعوة ملحة ومكررة على سبيل التوكيد . اننا لا نريد أن نحصيها هنا لكثرتها ولكنا سنشير الى بعضها على سبيل المثال يقول تعالى : **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »** (٢) ويقول : **« وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون • وهو**

---

(١) العلق : ١ — ٥ = (٢) البقرة : ١٦٤ .

الذى أنشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون )) (١) وقوله : (( وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون )) (٢) وقوله : (( والله انزل من السماء ماء فاحيا به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون . وان لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصـــا سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون . واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون )) (٣) وقوله : (( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات )) (٤) وقوله : (( الم تر أن الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ))(٥).

فهذه الآيات وامثالها لم يذكرها الله على سبيل العرض وانما

---

(١) الأنعام : ٩٧ — ٩٩ .
(٢) الرعد : ٣
(٣) النحل : ٦٥ — ٦٩ .
(٤) المجادلة : ١١
(٥) فاطر : ٢٧ ، ٢٨ .

طلبا للبحث عن اسرارها فهو سبحانه وتعالى يقول : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** » (١) فهل معنى ذلك اننا ننام فى مخادعنا أو نتكىء على الأرائك ويعرض علينا هذه الآيات الكونية والنفسية على شاشة تلفزيونية مثلا ؟ ام يطلب منا ان نكافح ونجد ونعمل لكشف هذه الآيات وعندئذ نراها ؟ ولكنه حينما يدعونا الى ذلك لا يقف عند الانتفاع بها وانما لتدبر عظمته وبديع صنعه وهذا هو الفرق بين التوجيه الدينى الذى يدفع الى الفائدة والتأمل معا وبين التوجيه المادى الذى يقف عند حدود المنفعة ولا يتدبر ما وراءها .

***

**٣ ــ الفن :**

على أن هؤلاء المتزمتين يختلفون درجة ونوعا فمنهم من يرى الا ضـــير من الفكر الحر والبحث العلمى بشروط يضـــيقونها أو يوسعونها حسب مداركهم ولكنهم يكادون يجمعون على عداوة الفنون من كل نوع لأن الفن عندهم عبث ولهو من عمل الشيطان مع اننا نكرر أن هذه الأدوات ليســت شرا فى ذاتها وأن الشر فى ســوء استعمالها .

ونجيبهم فى هدوء . الم يخلق الله فى نفوسنا عاطفة الاحساس بالجمال ؟ الم يودع أسرار الجمال فى الكون بكل ما فيه ومن فيه فهل الجمال الكونى والاحســاس الانسانى من عمل الشيطان ؟ القرآن يقول : « **الله خالق كل شىء** » (٢) فهل اشرك الشــيطان

---

(١) فصلت : ٥٣ .  (٢) الزمر : ٦٢ .

معه فى خلق الجمال الكونى والاحساس الانسانى ؟ فالفن والفكر والعلم نعم أنعم الله بها على عباده ، وكلما عمق تذوق الانسان للجمال دل ذلك على صفاء جوهره ونضج شخصيته وارتقاء انسانيته . فالفن هو التعبير الجميل عن الاحساس الصادق ، والانسان العادى قد يتذوق الجمال ولكن لا يعكسه فنا جميلا . أما الفنان فهو الذى يملك موهبة الاحساس ومعها يملك موهبة التعبير عما يتذوقه . فالمنظر الطبيعى الجميل يعرض على ثلاثة أشخاص أحدهم لا يرى فيه شيئا والثانى يتذوقه ولكن لا يحسن التعبير عن جماله والثالث يتذوقه وينفعل به ويترجم عنه شعرا أو لحنا أو صورة فهل نقول أن هذا الثالث خارج عن دائرة الدين والمطلوب منه أن يكبت عاطفته ويمسخ موهبته ؟ ومع ذلك فنحن لا نناقشهم بالمنطق لأنهم أغلقوا عقولهم على ما تلقوه من مواريث وانما نضع أمام أعينهم بعض آيات القرآن التى تشير الى ما فى الكون من جمال ومع ذلك فهم لا يقتنعون أيضا فأنت لا تستطيع أن تقنع شخصا مصابا بعمى الالوان أن هناك لونا اسمه اللون الأخضر . انما نورد هذه الآيات لمن صحت بصائرهم وتشككوا فى أقوالهم ولكنهم لا يجدون الدليل الذى يعصمهم من السير خلفه لينفضوا من حولهم ويفتنموا ما انعم الله به عليهم من تذوق الجمال والجلال .

يلفت القرآن نظرنا الى تذوق الجمال الكونى فيقول : « **ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين** » (١) فتدبروا جملة وزيناها للناظرين اليس فيها ما يوحى الى تذوق هذا الجمال ويزيدنا توكيدا لهذا فيقول : « **ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع**

---

(١) الحجر : ١٦ .

**سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح »** (١) وقوله : **« انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب »** (٢) وقوله : **« انا جعلنا ما على الارض زينة لها »** (٣) فماذا نفهم من هذا التكرار الا لفت النظر الى جمال السماء وما فيها من النيرات كالشمس والقمر والنجوم ، وكذلك الأرض وما عليها من انواع الزينة فعن جمال النبات يقول : **« أمن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ، أ اله مع الله ، بل هم قوم يعدلون »** (٤) فتصوروا جملة **« حدائق ذات بهجة »** انه هنا لا يتحدث عن فوائدها بلغة العلم ولا يحصى منافعها وانما يبصرنا بسر جمالها فيقول **« حدائق ذات بهجة »** ويقول : **« والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج »** (٥) ويقول : **« وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج »** (٦) ويقول : **« وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات »** (٧) والجنات تطلق على الحدائق التى تنتج الورود لالوانها الزاهية وزخارفها الفاتنه وعطورها الجميلة كما تطلق على البساتين التى تنتج الفاكهة بمختلف انواعها وحلاوة طعمها وجمال مذاقها فهل قيلت هذه الآيات عفوا من غير قصد أو من غير تدبير .

وعن الجمال فى الحيوان يقول : **« والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين**

---

(١) فصلت : ١١ ، ١٢ .
(٢) الصافات : ٦ .
(٣) الكهف : ٧ .
(٤) النمل : ٦٠ .
(٥) سورة ق : ٧ .
(٦) الحج : ٥ .
(٧) الأنعام : ١٤١ .

**تسرحون** » (١) فلماذا لفت الله نظرنا الى الجمال فى الحيوان بعد أن بين لنا فائدته ولماذا لم يقف بنا عند حدود المنفعة وحدها ولماذا قرن الفائدة بالجمال فى كل ما يحويه الكون من جماد ونبات وحيوان ؟ الا يدل ذلك على أن العلم والفن قرينان وانهما عنصران أساسيان فى تكوين الحضـــارة وأن غياب أحدهما يعطل جانبا من الكيـــان الانسانى انظروا ماذا يقول فى سورة البقرة : « **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** » (٢) فلماذا ذكر القرآن جملة « **تسر الناظرين** » ولم يقف عند قوله « **فاقع لونها** » فلو كان ما يرى من الجمال محرما لكانت آيات القرآن تتساند على هـــذه الصورة فى ذكر الجمال ؟ وماذا ننتظر بعد كل ذلك فى التوجيه الدينى ؟ هل ننتظر من القرآن أن يعطينا دروسا فى أصول الفن ويضع لنا منهجا أكاديميا يفصـــل لنا فيه مذاهب الفنون ؟ نحن نعلم أن القرآن الكريم أتى بالأصول الكلية فى كل أوامره حتى فى دائرة العبادات وهى أخص خصائص الدين فهل يخرج عن هذه القاعدة فيما يتعلق بتذوق الجمال ويعرض لنا بحثا خاصا فى أصول الفنون ؟ اننا نعلم أن الأشياء المحرمة دعا اليها القرآن بلفظ صريح فأى أمـــر فى القرآن يدعو الى تحريم الفنون .

وحتى النظر الى الجمال الانسانى أشار اليه القرآن الكريم فقال : « **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** » (٣) وأحسن هنـــا تشير الى جمال الخلقة فلم يخلقه على صورة منفرة مكروهة فوق ما أمده بها من مزايا الروح ويقول : « **يا أيها الانســـان ما غرك**

---

(١) النحل : ٥ ، ٦ .
(٢) البقرة : ٦٩ .
(٣) التين : ٤ .

**بربك الكريم • الذى خلقك فسواك فعدلك »** (١) فجملة « **فسواك فعدلك »** تشير الى الصورة السوية من اعتدال القامة وتناسق الأعضاء وجمال التكوين من جمال الوجه بانتظام أعضائه على هذه الصورة الجميلة التى أبدع فى وصفها الشعراء والفنانون ويؤكد هذا بقوله تعالى : « **الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء** »(٢) ويقول : « **خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم** » (٣) فهل بعد هذا نريد مزيدا من التأكيد ؟ وما هى حجة المتحذلقين ؟ فالله قد خلق الكون ترتبط فيه المنفعة بالجمال فمن ضاق أفقه وانحطت معنوياته وتعطل احساسه فلم يتذوق الجمال وأراد أن يحصر نفسه فى دائرة المنفعة وحدها فليكن له ذلك بشرط الا يجعل نفسه حكما أو وصيا على من أنعم الله عليهم بقوة الاحساس وتذوق الجمال والانفعال بما أبدعت يد الله فالله قد برأ الكون على هذه الصورة ودعا الانسان خليفته فى أرضه لينعم بها ماديا ومعنويا وهذه آيات القرآن خير شاهد على ما نقول وأن الحضارة الاسلامية نتيجة صحية لقيام المجتمع الاسلامى وعلى ذلك فان التخلف الحضارى فى أى ناحية عصيان لأوامر الله ... ومن خلال هذه النظرة المستنيرة نرى أن الاسلام قد كفل للبشر السعادة الكاملة من جميع النواحى فى هذه الحياة وفى الدار الآخرة جميعا وليس كما يتصور الجاهلون أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر بالمعنى الحرفى لهذه العبارة حتى ان صحت فالله الرحمن الرحيم يقول : « **قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم**

---

(١) الانفطار : ٦ ، ٧ .
(٢) البقرة : ٢٢ .
(٣) التغابن : ٣ .

**القيامة** » (١) اى ان هذه الزينة وهذه النعم هى للمؤمنين اولا وان كان قد اشرك معهم بعض الكافرين فى هذه الحياة لابتلائهم وابتلاء المؤمنين ايضا لأن هذه الحياة محدودة اما فى الحياة الأخرى فهى خالصة للمؤمنين وحدهم محرمة على غيرهم فى دار الخلود .

فما هدينا اليه هنا هو النظرة الدينية الشاملة للانسان ككل على اساس انه المحور للدين والفكر والعلم والفن وتنبيهنا الى التصور الذى يركز على ناحية واحدة محاولة أن تستوعب الانسان وتقوقعه فى داخلها فتصيبه بالتمزق بين شتى الاتجاهات . وبهذه النظرة المحيطة استطعنا أن نتنبه الى اشياء اساسية فى كمال التصور الانسانى .

فالتجديد الدينى ليس اضافة شىء اليه من خارج أو ترقيعه بفكر انسانى وانما هو استنباط حكم من صلبه يناسب تطور العصر لم يتنبه اليه السابقون .. أو فهم حقيقة دينية فهمت على غير وجهها الصحيح أو اكتشاف معنى جديد لم يكن قد جاء أوانه .. وخلاصة ما قدمناه أن اهداف الدين ثلاثة :

١ ــ تحقيق انسانية الانسان . ٢ ــ كيفية تآلفه مع مجتمعه .
٣ ــ حسن صلته بربه ..

وكل فكر يعمل على تحقيق هذه الأهداف هو فكر دينى وكل ما يخالفه وان استند الى بعض النصوص فهو بعيد عن الدين وانما هو سوء استخدام الفهم الصحيح لهذه النصوص .

وهكذا نرى من خلال هذا العرض الموجز قيمة الهداية الاسلامية ونعرف مصداق قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (٢) .

---

(١) الأعراف : ٣٢ . (٢) المائدة : ٣ .

وكل نقطة ذكرناها هنا تحتاج الى شروح لانا اردنا ان نشير الى الأصول وحدها للالمام بها فى صورة جامعة يسير المسلم على هداها . فدعوتنا هى لايجاد الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

والحضارة الاسلامية على هدى القرآن مبرأة من الحشو والتلبيس لنستعيد امجادنا وننتفع بما أوحى الله لرسوله من الحق والخير .. والله ولى التوفيق .

***

# الفصل السادس

# تفصيل موضوع الأخلاق

لقد ذكرنا فيما تقدم أننا نعرض أصول قيام المجتمع الاسلامى فى صورة مجملة وقلنا ان كل نقطة من هذه النقط تحتاج الى شروح وتفاصيل يمكن أن يساهم فيها كل مفكر بجهده ... لتعميقها وزيادة الايضاح .. وسنأخذ هنا على سبيل المثال تفصيل موضوع الأخلاق وبيان رؤيتنا له خاصة مايتعلق بفكر الجزاء الذاتى لأننا نجد عليها اعتراضا من بعض رجال الدين كما أن قيام المجتمع الاسلامى لا يتم فقط بمجرد قيام القوة بل لابد أن يتكامل بفكرته عن الأخلاق وسنرى بعد هذا العرض قدسية الدين وسموه عن كل ما أتى به الفكر البشرى فيما يختص بقيام المجتمع المثالى الذى يحيا كل فرد فيه حياة مثالية طالما دارت فى أحلام البشر ولكنهم لم يصلوا اليها ولم يحددوا مواصفاتها .. وسنرى أن الجزاء الذاتى هو بؤرة الاشعاع التى تكشف لنا عظمة هذا الدين وأنه وحده مصدر للهداية للبشر دنيا وأخرى .

لقد بينا أن فكرة الأخلاق تقوم على دعامتين :

١ ــ الدافع الخلقى .  ٢ ــ القيم الخلقية .

ولقد تناول رجال الدين والفلسفة هذين الأساسين بالتفسير فعن الدافع قال رجال الفلسفة : انه الجزاء القانونى أو الاجتماعى من الاستحسان والاستهجان وكذلك لم يتفقوا على القيم فما يكون خيرا فى مكان يكون شرا فى مكان آخر وما يباح فى شعب يحرم عند غيره فالخمر تباح فى مكان ، وتمنع فى آخر وعلى ذلك فالانسان يعايش القيم معايشة خارجية لا يحس بأصالتها فى ذاته وانما يخضع

لتقاليد المجتمع والقانون الذى يعيش فى ظله ولا يشعر بالدافع الذاتى تجاه العمل الخلقى فالأخلاق اذن لا تكون أخلاقا بالمعنى الصحيح وانما هى عادات وتقاليد تفرض على الانسان من الخارج وليس له يد فى تكوينها وبذلك يكون الصواب أخطأهم فى الناحيتين ناحية الدافع وناحية القيم الثابتة التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان . على أن فريقا منهم كان أكثر صوابا ، بالنسبة للدافع فقالوا بالواجب أو الضمير أو الحاسة الخلقية وهنا نراهم قد اقتربوا من معنى الجزاء الذاتى مجرد اقتراب لأنهم لم يوضحوا لنا القيم الخلقية التى يشعر الفرد ازاءها بهذا الدافع الداخلى ومن ناحية أخرى نرى أن رجال الدين قد أجمعوا تقريبا على أن الجزاء الخلقى هو الجزاء الأخروى وحده وان كانوا قد التزموا بالقيم الخلقية الأصيلة فى الدين وهؤلاء قد أخطأوا أيضا فى مفهوم الخلق لأنهم اقاموه على جزاء خارجى من الرغبة فى الجنة أو الرهبة من النار . وهنا نجد رجال الدين والفكر جميعا قد قصرت افهامهم عن المعنى الصحيح للأخلاق ، فالفريق الأول من رجال الفلسفة قد جانبهم التوفيق فى المسألتين : تحديد الدافع اذ أقاموه على جزاء خارجى من المجتمع والقانون ثم عدم اتفاقهم على القيم ، والفريق الثانى منهم اقترب من الصواب من ناحية الدافع ولكنهم لم يحددوا لنا القيم .

أما رجال الدين فقد أخطأهم التوفيق من ناحية الدافع اذ أرجعوه الى الجزاء الأخروى مع اتفاقنا معهم على القيم .

أما نحن فقد اهتدينا بعون الله الى تلافى أخطاء الفريقين وبينا مقصود الدين فى موضوع الأخلاق حينما عرفنا الدافع بأنه الجزاء الذاتى مع اتفاقنا مع رجال الدين على القيم الخلقية الدينية واثبتنا عمومية الدين وصلاحه لكل زمان ومكان وأنه رحمة للبشر جميعا

فـــلا يختص بمجتمع معين يختلف عن مجتمع آخر ولا لزمـــان عن زمان .. فأى فرد يؤمن بالجزاء الذاتى وبالقيم الدينية لا يخضع لتقاليد مجتمع خاطئة أو لعادات شعب منحرف وانما يقوم بتصحيح هذه العادات والتقاليد حتى تستقيم على المنهج الســـوى الذى شرعه الدين . وبما أن الدين تعبير عن الفطرة الانسانية فسيثق المؤمن أن كل ما أمر به الدين يصادف هوى فى نفسه واطمئنانا فى قلبه فلا يعايشه معايشة خارجية كما لا يخضـــع له خضوعا أعمى ولا يقوم به تحت تأثير الرغبة أو الرهبة وانما يستجيب له تلقائيا كما تهفو نفسه لأى شيء جميل ، وحتى ندلل على صـــدق نظرتنا والأعماق البعيدة التى تؤدى اليها نبحث موضـــوع الحرية كما قدمه فلاسفة السياســة وكما يقدمه لنا الدين فى هذه الصـــورة التى ألهمنا الله اياها ولا ندعى أن لنا فضلا فيها وان كان لنا فضـــل فهو فى تلقيها لا أكثر .

ومشكلة الحرية متشعبة عند كثير من الفلاســـفة ولقد دارت حولها أبحاثا ضخمة متنوعة على مر التاريخ ولكنا هنا سنحاول أن نستخلص تعريفا لها بعد غربلة كل ما قالوه فى موضـــوعها . فأقصى ما وصل اليه الفكر البشرى حتى الآن أن الحرية لها جانبان أو مفهومان : مفهوم سلبى ، ومفهوم ايجابى . المفهوم السلبى هو فك القيود ، والمفهوم الايجابى هو حق المساواة لكل فرد فى منجزات شعبه ، أى أن المفهوم السلبى هو حرية العبد فى عتقه أو حرية الأمة المستعمرة فى جلاء الغاصب عنها أو حرية شـــعب مستعبد بزوال الطاغية .. والحرية بمعناها الايجابى هى حرية كل انسان فى أن ينال من الحقوق الاجتماعية ما يناله غيره . وقد انتهى فلاسفة السياسة الى حصر هذه الحقوق وتقريرها فى ست حقوق أساسية هى :

١ — حق الأمن وصيانة الحرمات .
٢ — حق التعبير عما يجيش فى النفس من افكار .
٣ — حق المساواة أمام القانون .
٤ — حق التعليم فى كل مستوياته .
٥ — حق العمل فى كل مستوياته .
٦ — الحق السياسى فى كل مستوياته .

ثم اضافوا مع ضمان المستوى الاقتصادى الذى يكفل ممارسة هذه الحقوق هذا اقصى ما وصل اليه العقل البشرى حتى الآن فى موضوع الحرية . واذا كنا نعلم أن الفلسفة بلغت مرحلة النضج فى البلاد اليونانية قبل الميلاد بخمسة قرون فمعنى هذا أن ما نقرره هنا هو الجهد البشرى على مدى خمسة وعشرين قرنا . واذا علمنا أيضا أن فى كل قرن نبغ اكثر من فيلسوف ووضع اكثر من بحث ، وفى القرون الأخيرة بالذات زاد عدد الفلاسفة والمفكرين بتيسير وسائل الطباعة وكانت نتيجة كل هذه الجهود هى الوقوف عند هذه الحدود .. عندئذ نبدأ بعرض موضوع الحرية فى الاسلام وسنرى هداية الدين فى اخطر مشكلة صادفت البشرية وكيف تعرض لحلها وكيف أضاء لنا وجه الصواب فيها بصورة منقطعة النظير .

الدين يرى الحرية الحقيقية هى حرية الفرد فى تحقيق ذاته وتحقيق الذات هو فى اشباع ملكاته العليا كلها بصورة متساوية متكاملة فلا تحجب ملكة مهمة اخرى ثم قام بتحديد هذه الملكات وهى الايمان والخلق والعقل والحب مشيرا اليها فى سورة العصر بقوله : **« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »** (١) وتحديد

---

(١) سورة العصر .

الخصائص والملكات لا يكفى بل لابد من بيان كيفية استثمارها لتؤدى وظيفتها متساندة متآلفة حتى تصل بالانسان الى درجة الكمال الممكن . ونبدأ بالخلق ، فلو قلنا ان الدافع الخلقى هو الجزاء الأخروى كما يقول المفكرون الدينيون فمعنى ذلك أن ملكة الخلق ستبقى عاطلة لا عمل لها ولا تجد اشباعها لأنه مادام الجزاء خارجيا فان المرء سيعايش القيم الخلقية معايشة خارجية وكأنها شيء غريب عنه طارىء عليه وليست تعبيرا عن ذاته أو عن الملكة الخلقية فى ذاته . أما لو حددنا الدافع الخلقى بالجزاء الذاتى فمعنى هذا أن العمل الخلقى تعبير عن ذات الانسان واشباع لاحدى ملكاته وتحقيق ذاته فى مجال الأخلاق . ولكن الدين لا يقف بنا عند هذا الحد ولو انه أوضح لنا هذا المفهوم وحده لكان فضله لا ينكر لأنه بهذا التحديد يكون قد وضع الحل النهائى لهذه المشكلة المعقدة : مشكلة الأخلاق . ولكنه بعد ذلك يقول لنا ان الجزاء الذاتى هو نقطة انطلاق الى الحرية الشاملة للذات الانسانية فلو تأكد كل فرد من هذا المعنى للأخلاق وسرى فى المجتمع كله مفهوم الجزاء الذاتى فسيترتب عليه حتما المبدأ الذى يليه وهو ( الحق من طريق الاقناع ) وبذلك تتاح الفرصة كاملة لاشباع الملكة العقلية فلا يستطيع طاغية أن يفرض على شعب نظاما معينا أو يقيد حرية الفكر فلا يسمح الا بما يوافق هواه مما يتسبب عنه شلل الملكة العقلية والخسارة الضخمة التى يصاب بها المجتمع من انعدام الأفكار السليمة ، فمبدأ الحق من طريق الاقناع ضرورة انسانية لأن العقل ينتعش بما يأخذ ويعطى من الفكر فيتحقق عنصر آخر من عناصر الذات هو الملكة العقلية التى لا تجد اشباعها الا فى جو من الحرية كما عبر عنه القرآن بقوله : « **وتواصوا بالحق** » أى يوصى بعضكم بعضا باتباع الحق .. ولا يتم ذلك الا بالبحث الحر

والنقاش حولّ المسائل من وجوهها المختلفة حتى يستبين وجه الصواب .. وباتباع هذين المبدأين .. الجزاء الذاتى والحق من طريق الاقناع تتوفر الثقة . واشاعة الثقة فى المجتمع عنصر أساسى فى شد أركانه وتماسك بنيانه وفى غيابها يتبدد الشمل وتنحل الروابط وتسود الفوضى . أما اذا توافرت هذه القيم الثلاث فيمهد السبيل للحب وبذلك يحقق المرء عنصرا آخر فى ذاته وهو الجانب العاطفى . واذا تحققت هذه القيم مجتمعة فمعنى ذلك حرية الفرد فى تحقيق ذاته وهذه هى الحرية العظمى التى اختص الدين بالكشف عنها ووضع الحل النهائى لها بحيث لا يطمع أحد أن يصـــاغ الحل افضل من هذه الصورة التى أوحى بها الدين . واذا حقق كل فرد ذاته بهذه الكيفية فقد تحققت الحياة المثلى على أكمل صورة لم يكن يحلم بها مفكر أو فيلسوف .

وهـــذه المعجزة القرآنية لم تأت فى عدة بحوث بل جاءت فى سطر واحد من القرآن الكريم وبهذا يكون الدين قد وضع فلسفة للحياة أو عقيدة للحياة ظلت خافية عن الجميع حتى جاء أوانها بعد أن تخبطت البشرية وأصـــابها الدوار بين مختلف المذاهب والآراء .. وحتى تبدو لنا عظمة التوجيه الدينى نعود الى المقارنة بين مستويات الفكر كله وبين الدين ، فالحرية بمعناها السلبى كانت أملا حينما اشتد ضغط المستبدين على شعوبهم . والحرية بمعناها الايجابى أى الحرية الاجتماعية أو السياسية بدأ التنبه اليها حينما كان فريق من الأمة يتمتع بكل الامتيازات والحقوق والباقى محروم منها ثم انتهوا بعد هذا المشوار الطويل الى تقرير هذه الحقوق الست ، تناولوها على مدى التاريخ واحدا بعد آخر وكل حق من هذه الحقوق كان نتيجة دراسات مستفيضة وصراعات

منطقية بل ودموية حتى استخلصت هذه الحقوق .. وكان هذا منتهى طاقة الفكر البشرى بعد تجارب العمر الطويل الذى امتدت عشرات القرون .. بل أن هذه الحقوق مقررة على الورق فقط محروم منها معظم البشر وبدأ الفكر المضاد يتصارع معها مرة أخرى لتعود البشرية الى سابق عهدها من الاستبداد والهمجية عن طريق المذاهب الاشتراكية التى اتخذت كلمة العدالة شعارا مضللا تخفى تحته شر ما يبيت للجنس البشرى من الكبت والقهر وسلب الحقوق التى أجهدت الفكر طوال تاريخه للوصول اليها عن طريق الارهاب والتجسس الذى يعطى عصابة الحكم وحدها حق السيطرة على جميع السلطات ، وهنا تبدو عناية الله للبشر فى هداية الدين الى بيان أفضل منهج للحياة يتمتع فيه كل فرد بتحقيق ذاته ثم تكون جميع الحقوق الاجتماعية والسياسية التى كانت محط آمال البشر نتيجة حتمية لتحقيق الذات ، وبهذه المقارنة الحرة الواعية بين منهج الدين ومنهج الفلسفة يتجلى لنا الاعجاز الدينى فى أبهى صوره .. هذا مع أن الدين جاء به رجل لم يقرأ ، ولم يكتب ، ولم يتلق علما عن بشر ، وانما نشأ فى الصحراء منذ أربعة عشر قرنا ، أما الدراسات الفلسفة فقد قام بها كل المفكرين من البشر على مر التاريخ حتى وقتنا الحاضر فهل يبقى شك بعد هذا الوضوح فى رسالة الدين وأنه وحى الهى تنزل على الرسول كما أخبرنا القرآن فى قوله : « **وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** » (١) . وشىء آخر فالنظام الديمقراطى كفل للفرد هذه الحقوق الستة وجعل وسيلته للمحافظة عليها هى القانون والقانون لا يتعامل الا مع الظاهر ولا يمكنه التغلغل الى طوايا الضمير ولذلك فيمكن عن طريق الخداع المنطقى العبث بهذه الحقوق

---

(١) النمل : ٦ .

وقد رأينا ان السلطة التنفيذية حتى فى أعرق الدول ديمقراطية كثيرا ما تعتدى على بعض هذه الحقوق أما حينما يتمتع الفرد بالحرية الانسانية أى حريته فى تحقيق ذاته فانه لا يسعى الى العبث بأى حق من هذه الحقوق بل يسعى مخلصا الى تدعيمها والحفاظ عليها لأن فى تدعيمها تمكين لحقه فى التمتع بمزاياها . وشىء ثالث : فالحقوق الاجتماعية فى النظام الديمقراطى غايتها المصلحة أما فى المجتمع الدينى فان الدافع والغاية هى الصلاح أولا ، وستكون المصلحة متحققة عندئذ بكل تأكيد . فأهمية الحرية الانسانية كما يوضحها الدين لا تجعل أحدا يحاول أن ينتقص من حقوق غيره لأن هذا يتناقض مع تحقيق ذاته فلا محل هنا للخوف من القانون أو استهجان المجتمع وانما هو حرص الانسان ذاته، وفى ذلك وحده كله الضمان أما فى المجتمع الديمقراطى الذى يقوم على القانون فان الفرد الذى يجد الفرصة ليعتدى على حقوق غيره خلسة من القانون أو خفية عن المجتمع فلن يتردد مادامت الغاية هى المصلحة لا الصلاح .. أما فى المجتمع الدينى فلا تعارض بين المصلحة والصلاح . فالفرد يعمل على تحقيق ذاته ببذل ما فى طاقته من خير وفكر وحب للجميع وفى نفس الوقت يتلقى من المجموع كل ما عنده من خير وفكر وحب بلا تكلف ولا اكراه .. وهذه العقدة التى قام بحلها الدين وحده هى التى عجزت كل فلسفات البشر أن تجد لها حلا وانما هى محاولات تميل الى الفرد حينا والى المجتمع حينا آخر ولا راحة فى أى الاتجاهين . فهل نطمع من البشر بعد هذا الوضوح أن يفيئوا الى الحق وينصفوا أنفسهم فينقذوها من التخبط فى متاهات المذاهب وضلالات الفكر البشرى فنحن هنا لم نقدم لهم خدعة جديدة نصرفهم بها عن تحقيق أملهم فى الحرية والكرامة أو نحتال عليهم بالآمال المعسولة لتتسلط عليهم ونتخذهم مطية لتحقيق غرض خبيث وانما نقدم لهم

الحق وحده منزها من كل غرض مبرأ من كل غاية الا الاخلاص لله ولدينه الذى فيه تحقيق كل آمالهم .. ولم يكن جهد الدين قاصرا على حل مشكلة الحياة وهداية كل فرد الى تحقيق ذاته لأول مرة فى التاريخ بحيث يقام الفردوس الأرضى بل هدى البشر الى الايمان بالله واليوم الآخر وجعل الفردوس السماوى جزاء على اقامة الفردوس الأرضى وبذلك يكون الدين قد هدى البشر الى سعادة الدنيا والآخرة معا والربط بينهما ، وليس كما يتصور المتدين أن الدين تكليف شاق بالعبادات والخيرات لنيل الثواب الأخروى دون الاهتمام بهذه الحياة ووضع حل لمشاكلها مما جعلهم يعتمدون فى حياتهم على علوم السياسة وحدها مع اننا رأينا هنا أن الدين قد وضع المثل الكامل لنظام الحياة ووضع قدم الانسان على طريق السعادة فى عالم الغيب والشهادة .. بل أن مما يدعم الايمان بالغيب هو عجز الفلسفات السياسية عن ايجاد حياة افضل على كثرة ما كتب فى فلسفة السياسة من بحوث بينما يقدم الدين الحل الصالح فى بضع كلمات مما جعلنا نؤكد أن الجزاء الذاتى هو بؤرة الاشعاع التى تكشف لنا عظمة هذا الدين وانه رسالة سماوية معجزة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهذا ما جعلنا نفرد لبحث الأخلاق تفصيلا خاصا لالقاء الضوء على فهمنا له حتى لا يختلط بمفهوم آخر ودليلنا على صدقه هو أنه يوصل الفرد الى تحقيق ذاته واقامة الحياة المثلى التى عجزت عنها الأفكار السياسية ... فالدين نظام شامل للحياة يعلم الانسان كيف يحسن صلته بربه بعد أن يهيء له المناخ النظيف والحياة الطاهرة فتسمو روحه وتصفو نفسه ويكون أقرب الى الله .

والعالم الآن قد تبلبلت افكاره وتشتت مذاهبه ولا خلاص له الا فى اسلام أمره لله رب العالمين ولا عذر بعد ذلك لمقصر أو متهاون

عن سلوك هذا السبيل .. ونحب أن نلفت نظر الجميع أن من هنا فقط نقطة الابتداء لاقامة مجتمع اسلامى وليس بمحاولة تقنين الشريعة التى انفق فيها علماء المسلمين سنين طوالا ، فقيام المجتمع الاسلامى أولا على الاخوة والأخلاق ثم بعد ذلك يكون تقنين الشريعة وليس العكس لأن تطبيق الشريعة على مجتمع غير اسلامى غير مأمونة العواقب مادام الانسان لا يعرف حكمة التشريع بل أن تطبيق الشريعة على هذا الوضع القائم يزيد الانسان نفورا من الدين مادام الدين لم يقدم له حلا لمشكلة الحياة فاصلاح النفوس مقدم على تطبيق الشريعة وتطبيق الشريعة على مجتمع لم يهيأ لها نفسيا يدفعه الى التحايل عليها لأنه غير ملائم لها ولا هى ملائمة له فقيمة الشريعة أن يتقبلها المرء باخلاص ويسعد بجدواها ولا يراها قيدا على نزواته .. كما نحب أن نلفت النظر أن من مزايا الاسلام أن الجانب التطبيقى فيه منبثق من الأساس النظرى وقائم عليه فلا يقوم بذاته ولا ينفصل عنه ، والأساس النظرى هو التصور الشامل وموقف الانسان منه ، فلا يحصر نفسه فى مادياته وحدها أو فرع من فروع العلوم دون أن يكون على علم بوجود الخالق جل وعلا وصفاته واسمائه الحسنى وكذلك موقف الانسان من وجوده ومصيره وغايته من الحياة وما بعد الحياة .. وهذا التصور الكلى يعطى الانسان فسحة فى النظر الى أقصى ما يستطيع فينتشله من التقوقع فى احدى جزئيات الحياة التى تعطل كثيرا من اهتماماته الانسانية ، والدين وحده هو الذى يعطى الانسان التصور الصحيح الذى يترتب عليه السلوك الصحيح ويتجه به الى الغاية الصحيحة لأنه من عند علام الغيوب الذى أحاط بكل شىء علما اما جهد الانسان فى هذا المجال فهو نوع من التخمين المتضارب الناقص لأنه نتيجة اجتهادات عقلية ليس فى طاقتها الاحاطة بهذا الموضوع

العريض أو التأكد من صحة هذه الاتجاهات .. فالأساس النظرى فى الاسلام ليس المقصود به الثقافة وانما العقيدة . والفرق بينهما أن الثقافة تقوم على العقل أما العقيدة فتقوم على الامتزاج بين الاقتناع العقلى والاستجابة الشعورية بنسبة متساوية واذا كان الاقتناع العقلى وحده قد لا يدفع الى العمل فان العقيدة يترتب عليها حتما العمل بموجب الاعتقاد ولذلك أجمع علماء الاسلام على أن العقيدة أصل والشريعة فرع ، أى أن التطبيق العملى مطابق للتصور النظرى ومتعلق به ... واذا تأملنا سر الهوان الذى لحق بالمسلمين فى عصورهم الأخيرة لا نجد له الا تعليلا واحدا هو غياب العقيدة القائمة على سلامة النظر للحياة التى تشبع الاقتناع العقلى وتلائم النزوع الفطرى . فاذا صحت العقيدة واستجابت لها النفس بملء رغبتها أيقظت من أشواقها الى المثل العليا فيتحول الشخص السلبى العادى الى قوة ايجابية فعالة يستسهل الصعب وتستهويه المخاطرة ويستعذب الألم فى سبيل ما يعتقد كما حدث لدى المسلمين الأوائل فينزع الى الجهاد فى كل ميدان : جهاد الفكر فى دحض الباطل والدفاع عن الحق . وجهاد الخلق فى التخلى عن الدوافع الدنيئة والارتباط بالدوافع النبيلة وجهاد الصلة بالله عن طريق العبادة فلا تثقل على المرء أو يركن الى التكاسل وهذه الدوافع تمد الانسان بالشجاعة فى الجهاد دفاعا عن هذه المزايا الانسانية فلا يتراجع أمام القوة الغاشمة التى تريد أن تسلب منه هذه المزايا فاما أن يحققها أو يموت دونها شهيدا فينعم بأجر الشهداء . وليس هذا من شطح الخيال بل هو تسجيل أمين لما حدث فى بدء الدعوة الاسلامية من هذه اليقظة غير المتوقعة التى بهرت العالمين ولعلنا بهذا نفهم حكمة الدين فى قول الله تعالى : **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو**

**خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لا تعلمون »** (١) اى ان الجهاد اذا كان مكروها لما فيه من المشقة والمخاطرة الا انه الأصوب والخير ان تعرض المرء لفتنته عن دينه ، فهو الذى يضمن له العز فى الدنيا والسعادة فى الآخرة ويوضح لنا القرآن هذا المعنى فى قوله : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوى عزيز »** (٢) اى لو استسلم الناس للأشرار ولم يقوموهم لاستحوذوا عليهم وهدموا معابدهم وافسدوا اخلاقهم فلا يذكر اسم الله ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فيعم الأرض الظلام والفساد كما اشار الى هذا فى آية اخرى بقوله : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** » (٣) اى لولا أن الله فرض الجهاد على المؤمنين فى مقاومة الكافرين الظالمين لفسدت الأرض لسيطرة العصابة الباغية الظالمة التى تصد البشر عن شريعة الله التى فيها وحدها الهدى والعزة والرشاد ولكن الله ذو فضل على العالمين حينما جعل الجهاد فريضة من فروض الدين ليصبح زمام الأمر كله فى يد من قال الله فى حقهم : « **الذين ان مكناهم من الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »** (٤) وذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

هذه كلمة الحق أهديها الى المسلمين والى رجال الفكر منهم خاصة على أن دورى فيها هو دور المتلقى لا أكثر فهى اذن رسالة كل مسلم ودورى فيها دور كل مسلم ليس لى الا فضل تلقيها ..

---

(١) البقرة : ٢١٦ .
(٢) الحج : ٤٠ .
(٣) البقرة : ٢٥١ .
(٤) الحج : ٤١ .

وانى باسم القرآن الكريم اتحدى هل كان يمكن أن يصوغ عقل بشرى منهجا للحياة بهذه المواصفات والوضوح وان يحدد معالمها بهذه الدقة وان يضع يده على مركز الاثارة فى نفس الانسان فينتقل فى تحقيق ذاته خطوة بعد خطوة حتى يصل الى تحقيق ذاته متكاملة فى خطوات طبيعية لا تكلف فيها ولا غموض . وحتى يكون التحدى واضحا لكل ذى نظر وانصاف نسأل : هل تغنى آلاف الأبحاث والدراسات الانسانية عن هذا المنهج المركز فى سطر واحد من القرآن الكريم ؟ أم أن هذا المنهج يغنى عنها كلها ولا تغنى كلها عنه ؟ ونتناول هذه الدراسات واحدة بعد واحدة فنقول : هل استطاعت الدراسات الأخلاقية أن تحدد الدافع الخلقى بهذا المعنى الواضح وهو الجزاء الذاتى وكيف أن دافع الجزاء الذاتى يعتبر تحقيقا لذات المرء فى مجال الأخلاق ثم هو نقطة الانطلاق الرئيسية لتحقيق المرء لذاته على أوفى صورة واكملها ؟ وهل استطاعت الدراسات الاجتماعية أن توفق بين دوافع الفرد ودوافع المجتمع وان يكون كلاهما عونا للآخر فى بنائه لا عامل هدمه وان تكسر الحاجز بين رغباتهم المتناقضة فتجعلها تتلاءم بدل ان تتصارع ؟ .. ان معظم الدراسات الاجتماعية تميل الى حقوق المجتمع على حساب حقوق الفرد وهذه النظرة التى تضع الفرد فى جانب والمجتمع فى جانب خاطئة .. لأن العلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة تكامل لا تناقض ومع صدق الشعور بهذا المعنى الا انه لم يستطيع اى باحث اجتماعى أن يوضح السبيل الى تحقيق هذه العلاقة قبل بيان الدين الذى قدمناه .. وهناك ايضا الدراسات السياسية التى تحدد حقوق الأفراد وعلاقة الفرد بالدولة ومدى سلطة الدولة وحقوق التشريع والرقابة ، وبعد غربلة هذه الدراسات المستفيضة نجدها تنتهى الى نظامين ..

نظام استبدادى يحرم الفرد كل حقوقه ويجعله ترسا فى آلة المجتمع الكبير وهذا النظام كله عيوب ليس به مزية واحدة لانه باسم المساواة والعدالة الاجتماعية يحرم الشعب كل حقوقه الانسانية والاجتماعية ويجعله مسخرا كالرقيق فى سبيل القلة التى تطفو على سطح المجتمع تتمتع وحدها بأقصى ما يحلم به ملك او امبراطور .

ونظام ديمقراطى بدأ البحث فيه منذ خمسة وعشرين قرنا وانتهى بتحديد حقوق الفرد الستة ومبدأ الفصل بين السلطات وهذا النظام بعضه مزايا وبعضه عيوب . أما مزاياه فهى أنه جعل الفرد نقطة انطلاقه ، ثم محاولة سلب السلطة الاستبدادية سطوتها بتحديد الحقوق الاجتماعية ومبدأ الفصل بين السلطات ولكن الغاية من هذا النظام هى تحقيق المنفعة وحدها دون البحث فى اقتران بين المنفعة المادية والمتعة الروحية ثم انها ترتكز على سلطة القانون ، والقانون لا صلة له الا بالظاهر وليس فى مقدرته الوصول الى ادراك الدوافع النفسية أو صلاحها . لذلك يكمن فى ثوب براق على انه الحق وان يبذل كل صاحب منفعة جهده فى الخداع المنطقى للوصول الى هدفه ما دامت الغاية هى المنفعة . غير ماثبت من أن السلطة التنفيذية لا تكبح جماح شهوتها فى التسلط وتحقيق مآربها رغم أنف القانون .. هذان هما النظامان من وضع البشر . أما النظام الاسلامى فكله مزايا وليس به عيب واحد ولسنا نحصى مزاياه هنا .. فهى أكثر من أن تحصى ولكن نذكر بعض مزاياه مقارنة بأحسن النظامين السابقين .

١ — فالنظام الاسلامى يرتكز على أساس أخلاقى ولا يبدأ من فراغ كالنظام الديمقراطى .

٢ ــ النظام الاسلامى صاغ حقوق الحرية الانسانية تعبيرا عن ملكات الانسان العليا أما النظام الديمقراطى فقد حصر نفسه فى الحقوق الاجتماعية وحدها .

٣ ــ النظام الاسلامى أهدى الانسان حريته فى تحقيق ذاته وهى أسمى نموذج من نماذج الحرية بلا ثورة ولا نزاع . أما الحقوق الاجتماعية فلم يقرر كل حق منها الا بعد فيض من الدماء .

٤ ــ النظام الاسلامى جعل تحقيق الحرية الانسانية ضمانا لتحقيق الحرية الاجتماعية وتدعيما لها وقد بينا أن الحرية الاجتماعية بدون الحرية الانسانية عارية من الضمان .

هذه بعض مزايا النظام الاسلامى بالمقارنة الى أكمل نظام بشرى ، أما مزاياه فهى شىء غير محدود وهذه هى احدى النعم الالهية التى تفضل الله بها على عباده والتى تجعلنا ندرك معنى قوله تعالى : « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١) ... والآن هل نقرأ هذا كما نقرأ رواية مسلية ثم نلقيه لنستأنف حياتنا التى الفناها ونستكين لما نعانيه من تعاسة وشقاء وانحطاط ؟ أم نحزم أمرنا كله ونعبىء جهدنا كله للعمل على تحقيقه وانقاذ انفسنا مما نعانيه ؟ ان قيام المجتمع الاسلامى المرتكز على الاخوة والأخلاق كما أوجبه القرآن وطبقه الرسول فى صدر الاسلام هو الضمان الوحيد الذى لا بديل له ولا يغنى عنه غيره فى صيانة حقوق الفرد والأمة وهو الحصن

---

(١) المائدة : ٣ .

الحصين الذى يتصدى لكل طاغية أثيم وكل العبارات الطنانة عن الحرية والديمقراطية لا قيمة لها أمام استبداد السلطة التنفيذية ولقد مضى على الأمة الاسلامية عشرات السنين بل ومئات السنين وهى تسمع عن الوعود الخلابة والمشروعات الوهمية التى لا يقصد بها الا استمرار الحكام فى مقاعدهم ، وما دام المجتمع الاسلامى ممزقا متفرقا لا يملك من أمره شيئا فسيخطو كل يوم خطوات الى الوراء وكل محاولة لعرقلة هذا النظام الدينى هى خيانة محققة ولا نظن ان شعبا بلغ حد السفه يرى طريق الخلاص واضحا ثم ينكص على عقبيه كما لا نظن أن حاكما يقف فى طريق ذلك مهما يكن مجردا من الشرف والضمير . وهذا المجتمع الاسلامى الذى ندعو المسلمين اليه لتكون كلمة الله هى العليا ندعو أيضا غير المسلمين بالعقل والمنطق الى تدبره وانه ليس ضد أحد ولما هو دعوة خالصة الى الانسان حيث كان . لقد انتشرت فى العصر الحديث عشرات النظريات السياسية والاجتماعية وكلها انحرافات ومغالطات فاذا كنا نحن المسلمين نقيم هذه الحياة على انها اوامر الهية ترفع الانسان الى مستوى انسانيته الحقيقية وتصله برب هذا الوجود وتضمن له سعادة الآخرة فاننا نطالب غيرنا أن يأخذوها كمنهج حياة افضل من كل ما عرض عليهم من النظريات الفكرية السائدة . لذلك ندعو الشعوب وهم ضحايا الأفكار المختلفة أن يتدبروا ما عرضناه من الهداية الدينية ليحكموا بأنفسهم هل هناك صلاح لهم الا فى ظل هذا المنهج وهذا النظام . فنحن لا ندعو الى قيام المجتمع تعصبا ضد شعب أو دين وانما ندعو كل شعب واهل دين أن يفسحوا صدورهم لما نقول وان يعاونوا فى تطبيقه رحمة بأنفسهم فى هذه الحياة المحدودة على الأقل ان لم يستطيعوا أن يتخلصوا من رواسب معتقداتهم فيؤمنوا به كتعاليم الهية .. ثم

نعود الى المسلمين لنقول لهم ان التكاسل فى تطبيق هـذا النظام كفر بنعمة الله عليهم فليثبتوا للعالم أولا أنهم جديرون بهذه النعم عند ذلك سوف تفيق الشـعوب المخدوعة والمغلوبة على أمرها لترى نعمة الله مجسدة فى سلوك المسلمين ، وعندها لن نحتاج الى دعوة أو دعاية للاسلام لأن تطبيقه وحده هو الدعاية المجدية فالدعوة بالكلام لا تكفى بل لا تجدى ما دام العالم يرى أن المسلمين أبعد ما يكونون عن العمل بدينهم وتطبيق تعاليمه ومن يتكاسل بعد هذا فهو خائن لدينه وربه وانسانيته وتذكروا قول الله تعالى : « **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كـل نفس ما كسـبت وهم لا يظلمون** » (١) .. فنحن لم ننظر الى القرآن كنظرات السـابقين من المفسرين الذين تناولوه آية آية أو سورة سورة ووقفوا عند بيان معانيها أو نظروا الى أحكام الاسـلام من حيث بيان الحـلال والحرام أو التركيز عـلى العمل به لنيل الثواب فى الآخرة وانما ركزنا فقط على هدى القرآن كنظام ومنهج للحياة هنا على الأرض بحيث يثبت تفوقه على كل النظم الأخرى التى تناولت هذا الجانب بالذات وذلك مع ايماننا بالله وباليوم الآخـر وما فيه من الثواب والعقاب ، وبهذه النظرة ندرك مدى سـمو الاسلام وجلاله وننبه الى ناحية هامة غفل عنها دارسو الدين اذ ركزوا كل جهدهم على النظر الى الآخرة وحدها ولم يتنبهوا الى عظمة الاسلام فى وضع فلسفة للحياة تفوق ما عداها وتؤكد قدسية الدين والاطمئنان إلى تنزيله من رب العالمين .. فقضية الدين فى محك الاختبار العصرى لا تقف عندما وقف أسلافنا من علماء التفسير والفكر والكلام ، فهذه مسائل قاموا بواجبهم فيها وأثبتوا تفوق الدين فى مشكلة الالوهية

---

(١) البقرة : ٢٨١ .

ومسائل التشريع بالمقارنة الى الفلسفيات والقوانين التى كانت سائدة فى عصرهم وقد ثبت لدى كل منصف حتى ولو لم يكن مسلما سلامة النظرة القرآنية ازاء هذه المسائل والمشكلات ... ولكن قضايا عصرنا اليوم تختلف عما سبقتها وما تناولها السلف الصالح . انه عصر النظم السياسية والإيديولوجيات الشاملة لمعنى الحياة والمناهج الموصلة الى غايته كما يتراءى لكل فريق والبحث عن عقيدة للحياة تحيط بنشاط الانسان كله وتوجهه وجهة معينة ظن أصحابها انها أقوم طريق .. فاذا لم نتنبه الى هذه الناحية وندرك موقف الاسلام منها وتفوقه على كل ما قدمه الفكر البشرى كما فعل أسلافنا بالنسبة لقضايا عصرهم فلا نكون مقصرين فحسب بل نكون قد خسرنا قضية الدين كله بحيث لا يغنينا كل ما قدم السابقون من أفكار وما وقفوا عنده من تحليل وتفصيل .. فنحن لا نخدم ديننا اليوم بعرض آراء الاقدمين وان كنا نجزم باهميتها لأنها جوانب اساسية فى الاسلام وانما نخدم ديننا حينما نستخلص من تعاليمه نظاما ومنهجا للحياة يحيط بنشاط الانسان ويوجهه الى أقرب غاية ويتفوق على كل النظم الحالية .

ولنعرض بصورة موجزة موقف أسلافنا وكيف قاموا بواجبهم فى تصديهم لمشكلات عصرهم واستنباط الأحكام الالهية من القرآن التى أثبتت اعجازه فى كل مجال .

نزل القرآن على رسول الله ﷺ حيث كانت عبادة الأصنام التى يقولون انها تقربهم الى الله وكان التركيز على الآيات التى تتحدث عن توحيد الله وتنزيهه واثبات وجوده وكمال صفاته ، فلما انتقل الرسول ﷺ الى المدينة واقام المجتمع الاسلامى بدولة المدينة نزلت الآيات مفصلة أحكام الاسلام ، وكان الصحابة يتلقون تفسير ما غمض عليهم من الرسول مباشرة ، فلما انتهى عصر الخلفاء الراشدين

وجاءت الدولة الأموية قام فى عهد التابعين امامان جليلان بوضع علم الفقه وهما الامام مالك بالمدينة والامام أبو حنيفه بالعراق فدونوا احكام الاسلام بنظرهم فى الكتاب وسيرة الرسول ﷺ ، ولما انتشرت الفتوحات الاسلامية ودخل الناس فى دين الله أفواجا خشى المسلمون تفشى اللحن فى اللغة العربية فقاموا بوضع علم النحو وقواعده التى تحفظ صحة نطق اللغة وتدوينها ، وكان لابد من قيامهم بهذا العمل الجليل لأن العربية لغة القرآن والحديث .. وفى عهد الدولة العباسية بدأت ترجمة التراث الحضارى الى اللغة العربية فلم يقف علماء المسلمين مذهولين أمام هذا السيل الجارف وانما نظروا فيه ثم نظروا فى كتابهم وبينوا صواب حكم القرآن بالمقارنة الى كل ما ترجموه .. فالفلسفة اليونانية سبقت الاسلام بأكثر من الف عام فى نظرتهم الى الوجود والموجد وقالوا أقوالا كثيرة منها الخطأ ومنها الصواب فتصدر علماء التوحيد لكل هذه الآراء وناقشوها وبينوا ما فيها من خطأ أو صواب على هدى فهمهم للقرآن ، فلو لم يكن القرآن قد جاء بالرأى السديد فى هذه المشاكل ولو لم يوجد من بين علماء المسلمين عباقرة أثبتوا تفوق القرآن على كل ما سبقه لانتهى دوره عند ذلك .. وحينما نظروا فى شريعة الرومان التى سبقت الاسلام بقرون كثيرة وكانت أرقى ما وصل اليه الفكر البشرى من قوانين قام علماء أصول الفقه ووضعوا قواعد علم الأصول وكيفية استنباط الأحكام وأثبتوا تفوق الدين أيضا فى كل تشريعاته بالمقارنة الى هذه القوانين .. ثم توقفت قوة الدفع الأولى لما لعبت الأهواء السياسية والمطامع الشخصية فانقسمت دولة الاسلام الى دويلات ينازع بعضها بعضا ولم تقف الكارثة عند هذا الحد بل جاءت غزوات الشمال من الصليبيين وغزوات الشرق من الوثنيين وحملات التتار فأضعفت شوكة

المسلمين لما حل بديارهم من الخراب وتقوقعوا فى اماكنهم بينما سطت أوروبا على كنوزهم العلمية والفكرية فكانت منطلقا لما وصلوا اليه من التقدم وازدهار العلوم وتأصيل فلسفات الأخلاق والسياسة والاجتماع ووضعوا المذاهب للعمل بالبراهين ولم يقفوا عند هذا الحد بل صاغوا نظريات شاملة للحياة ، وجعلوها ركيزة للمعتقدات السياسية والاجتماعية حاولوا بها اصلاح الحياة لتناسب تقدمهم العلمى .. وهنا نقول : ما موقف الاسلام من هذا الوافد الجديد؟ فاما أن نقوم بالتصدى له بوضع منهاج للحياة نستخلصه من القرآن الكريم يثبت به تفوق الاسلام فى هذا المجال بالذات كما فعل أسلافنا فى اثبات اعجاز الدين وتفوقه على ما انتج الفكر البشرى ، واما أن يجرفنا هذا الوافد الجديد فنخسر قضية الدين كله ونتقوقع فى دائرة الحلال والحرام والاتجاه الى الآخرة فيضيع الدين كله ونخسر الآخرة والدنيا معا ، ولا شىء يسر اعداءنا اكثر من هـذا ، فهم يريدون أن يضعوا الدين كله فى دائرة العبادات والحلال والحرام ، اما مشاكل الدنيا فليس للدين موقف ازائها لأنها تتطور بترقى الفكر البشرى وتعقد المشاكل الاجتماعية جيلا بعد جيل . وحينما نجاريهم فى هذا الادعاء نكون قد وضعنا انفسنا فى الفخ المنصوب لنا للقضاء على الدين نفسه ـ فما عجز الدين عن حل مشكلات الحياة ـ فأولى ثم أولى ان يكون عاجزا عن مشاكل ما وراء الحياة .

فلشيوعية ـ وهى فكر صهيونى ـ ترمى الى هدم الأديان والأخلاق والغاء الغيبيات وبالتحديد ترمى الى هدم الاسلام لغايات سياسية ونزعات دفينة عند اليهود لا محل لتفصيلها هنا ـ لأن لنا بحثا وافيا حول هذا الموضوع سينشر فى كتاب مستقل ـ فلما أعجزهم ذلك عن الدعاية المباشرة غيروا تكتيكهم بهدم الدين على خطوتين . بعزله أولا عن حل مشكلات الحياة بقولهم ان الاشتراكية منهج اقتصادى

لاشاعة العدل بين الناس ، والدين مجاله العبادات والغيبيات . فيمكن أن تكون مصالحة بين للدين والاشتراكية على هذا الأساس .. ثم تكون الخطوة الثانية هى : مادام عاجزا عن تقديم الحل السياسى فكيف نصدقه فى مجال الغيبيات ؟ وسيرون أن منطقهم عندئذ معقول ومقبول . ومع أن الحل الذى قدموه يقوم على الاستبداد الذى لم تشهد له البشرية مثيلا فى تاريخها كله وعلى دولة الارهاب والجاسوسية لكبت الأفكار وسحق كل الحريات والعودة بالبشرية الى الهمجية الأولى فانهم يتبجحون ويقولون : ان لدينا منهجا للحياة وليس لديكم هذا المنهج . فبماذا نرد على هذه الوقاحة وهذا الافك والزور ؟ هل يكون بالموقف السلبى كما كنا نقول : ان الاسلام بخير وان الشيوعية لا مكان لها فى بلاد المسلمين ؟ وماذا تقولون لم علمتم ان الشيوعية غزت بعض المستويات الثقافية العليا فانضووا تحت لوائها وأصبح أكثر من نصف حكام العالم الاسلامى من الشيوعيين ؟ ستقولون انهم عملاء . فأقول : وما جعلهم عملاء الا الفراغ الدينى الذى يعيشون فيه وغياب المنهج الروحى الذى يثير أشواقهم الى المثل العليا . فباعوا انفسهم رخيصة لأنهم لم يجدوا المبادىء الحقة التى تعلى قيمة الانسان وقيمة الحياة .. فاذا أثبتنا أن منهج الدين للحياة هو أصدق وأصلح ما قدم للبشرية من حلول كان ذلك عونا على تصديقه فى مجال الغيبيات . وبذلك نقطع الطريق عليهم ونفسد ما دبروه .. فيكون اتباع الدين هو أسمى ما يرضى مطامح الانسان فى دينه ودنياه على السواء .. وهل نكون جديرين بنعمة الدين لو تركنا أمور الحياة لأهواء الفكر البشرى وقصوره واختلاف المنازع وتشتت الاتجاهات ؟ انظروا الى قول الله سبحانه وتعالى : **« من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة »** (١)

---

(١) النساء : ١٣٤ .

والثواب هنا هو النعيم .. فمضمون الآية يقول : من كان يريد نعيم الدنيا وحدها والبحث بفكره عن افضل وسيلة واقوم منهج للحصول على هذا النعيم فان دين الله ليس فيه ثواب الدنيا وحدها ولا الآخرة وحدها وانما فيـــه ثواب الدارين جميعا بما تضمن فى آياته عند النظر السديد لها عن أفضل وسيلة واقوم منهج للحصول على هذا النعيم الدنيوى بحيث لا يستطيع الفكر البشرى وان تعاون عباقرته جميعا على وضع هذا المنهج ، ومع ذلك فان الدين لا يقف بنا عند افضل طريق لأكرم حياة على هذه الأرض فى هذا العمر المحـــدود ولكنه مـــع ذلك ينفرد وحده ليبان السبيل الى ســـعادة الآخرة الخالدة الباقية .. وبذلك نتأكد أن المنهج الدينى للحياة من صلب الدين وفى صميمه يتوجب علينا العمل به كما يوجب علينا العبادات والايمان بالغيبيات فاذا كنا مسلمين فلا مفر لنا من أن نطيعه فى منهجه للحياة كما نطيعه فى باقى الأوامر والا حدث الانفصام الذى يودى بالدين الى التشكك والضياع ولنعلم أن ثواب الدنيا والآخرة معا عند الله لا عند الناس .. وعلينا أن نتذكر أن اقوى طعنة اصابت الدين هى فى هذا الانفصـــام وعزله عن أمور الحياة وتمركزه فى مجال العبادات والغيبيات ، فمهمتنا اليوم هى أولا فى بيان اعجاز الدين فى وضع منهج للحياة ، وثانيا فى العمل به وجوبا لا استحبابا لضمان ســـعادة الدارين كما تبين الآية الشريفة .. وبهذا الفهم الصحيح للاسلام فقد قمت بهذه المحاولة لوضع الاسس الأولى لهذا المنطلق على أمل أن تتبعه محاولات على هذا الطريق تعمق مفهومه وتوسع دائرته حتى نكون جديرين بالقيام بأمر هذا الدين الذى انزله الله رحمة للعاملين .. وسأشير هنا الى بعض الآيات التى تعزز هذا المفهوم فى الربط بين الحياتين يقول تعالى : **« الا أن**

**اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنـــوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »** (١) وقوله : **« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون • نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخـــرة »** (٢) ، وقوله : **« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »** (٣) ، وقوله : **« من عمل صـــالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »** (٤) وهكذا .....

فهذه الدعاوى الكثيرة التى يموج بها عنصرنا وهـــذه الوفرة الوفيرة من الفلسفات والنظم التى تحاول شد الانسان اليها والتفافه حولها ثم المحاولة الماكرة لعزل الدين عن الحيـــاة كخطوة اولى للقضاء عليه بعد ذلك لا نجاة لنا منها الا بالايمان بمنهجنا الدينى ومبادرتنا الى تطبيقه ليكون واقعا مشهودا يقطع الطريق على هذه المحاولات فننقذ انفسنا ونقدم للعالم كله خير ما يقدم له لانقاذه من محنته الحاضرة التى جعلته يتجرع كئوس الشقاء على الرغم من تقدمه العلمى والفكرى ، وهذه هى معجزة الدين لعالم اليوم الضائع الذى ضل الطريق .. وهذا المنهج هو حقيقة واردة بالنص القرآنى وليس من قبيل الاجتهاد فيما لا نص فيه ، وغياب هذا المنهج هو الذى جعل الفكر الدينى يتخبط فى اتجاهات مختلفة يحاول الربط

---

(١) يونس : ٦٢ — ٦٤ .  (٢) فصلت : ٣٠ ، ٣١
(٣) ابراهيم : ٢٧ .  (٤) النحل : ٩٧ .

بين الاسلام وبعض النظم الأخرى كالديمقراطية والاشتراكية .. فنرى بعض المفكرين يكتب عن الديمقراطية فى الاسلام وآخر يكتب عن الاشتراكية فى الاسلام وثالث يحاول التوفيق بين الاتجاهين لتلافى عيوبهما فيكتب عن الاشتراكية الديمقراطية ويأتى كتابه تسيجا مهلهلا لأنه يحاول الجمع بين ضدين .. فهل الاسلام عاجز عن وضع منهج مستقل عن الآخرين ؟ .. وبعضهم يقول انه لا علاقة بين الدين والسياسة تكريما له عن الانزلاق فى حبالها ، وبعضهم يريد عزله عن السياسة حتى يخلو لهم الجو فيتجهون الى حيث تريد لهم المطامع والأهواء .. فلو آمنا بهذا المنهج وقمنا بتصديقه فسينتهى كل هذا العبث وسنقطع الطريق على كل انتهازى أو مستبد أو عميل .

وهذا الكشف فيما نعلم هو أروع كشف فى تاريخ الاسلام وهو هدية الله الى العالم فى مطلع القرن الخامس عشر للهجرة ، واذا كان ذلك فلا ادعى أن طاقتى الفكرية أو الثقافية أوصلتنى اليه ولكنه توفيق الله .. ولعل فى هذا ما يعزز ايمان المؤمنين الذين اذهلتهم دعاوى المغرضين والعملاء فوقفوا حيارى بين ايمانهم بقدسية الدين وبين دعاوى المبطلين .. وسيكون هذا أكبر حجة للمسلمين على غيرهم فى مجال اجهد فيه الفلاسفة اذهانهم على مر التاريخ ولن يصلوا الى الحل المريح .. ولابد أن يأخذوا بهذا المنهج اما لصلاح دنياهم على الأقل ، أو يشرح الله صدورهم للدين كله فيؤمنوا به كاملا فيجمع بين سعادة الدارين وعندئذ يغمر نور الاسلام الأرض كلها كما تنعم بنور الشمس من اقصاها الى اقصاها وتصدق كلمة الله : **« كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من**

**الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد »** (١) وحينما نقرأ قوله تعالى : **« انا نحن نزلنا الذكر وانـــا له لحافظون »** (٢) لا يكون المفهوم حفظه من التحاريف فقط .. ولكن الحفظ فى القلوب بالايمان والعمل بتوجيهاته وفى هذا المقام نتوجه باللوم الى هذه الطائفة من المستشرقين الذين درسوا الاسلام وعرفوا ما فيه من نبل وسمو وبدلا من أن ينضـــموا تحت لوائه وينشرون دعوته بين شعوبهم لينقذوها من الضلال راحوا يعملون على النيل منه والطعن فيه وتلفيق الأكاذيب حول معانيه لأن النزعة القومية والتعصب الدينى تغلب على نزعتهم الانسانية فخسروا انفسهم واضلوا شعوبهم فلا معنى للتعصب ضد الاسلام ، لأنه ليس للمسلمين وحدهم ولكنه هداية للبشر جميعا .

نسأل الله أن يوفقنا الى العمل به كما هدانا الى استجلائه انه سميع الدعاء .

***

---

(١) ابراهيم : ١ .  (٢) الحجر : ٩ .

# خاتمة

## كلمة أخيرة ...

من استعراضنا لموقف العاملين بحقل الدعوة الاسلاميه نجدهم طوائف ثلاث :

١ ــ علماء الدين .  ٢ ــ المفكرون الدينيون .

٣ ــ أعضاء الجمعيات الاسلامية .

وبملاحظاتنا نجد منهم القاصرون عن فهم الدعـــوة بمعناها المحيط .. الجامدون على موقف الســـلف أو المتشـــددون على بعض الأصول وحدها او على بعض الفروع أو المتحمسون ولكن فكرتهم مشوشة ومختلطة ببعض المفاهيم التى لا تمت الى الاسلام بصلة . وبعضهم له اجتهادات لا بأس بها حول بعض الآيات أو الوقوف عند تفسير معين أو دراسات النظرية فى مجال الثقافة الاسلامية . وفى وسط هذه التيارات المختلفة نتقدم بمنهجنا الواضح عن الدين الى المسلمين عامة والى العاملين بحقل الدعوة الاسلامية بوجه أخص عسى أن يجدوا فى هذا المنهج ما يوحد كلمتهم ويجمع جهودهم حول محور واحد يؤدى فى النهاية الى تحقيق كل ما يحلمون به من نصرة الاسلام وعزة المسلمين .. وأملى أن ينظروا فى هذا المنهج بروح محايد وفكر مستقيم وأن يتخلصوا مما ترسب فى معتقداتهم من أفكار سابقة لم توصلنا الى شىء حتى الآن ويعلموا أن تفرق الكلمة واختلاف الدعوات لا نتيجة له الا تشتت الجهود وضـــياع الوقت عبثا ونحن فى حاجة الى صرف كل دقيقة الى عمل قائم على وضوح الرؤية ودقة النظر واستقامة الفكر ووحدة الهدف .. ونلفت نظرهم الى أنه مهما تعمق الوعى وازدهرت الثقافة فان ذلك لن

يغير من حياتنا الا بخطة عملية يمكنها تحويل الأحلام والنظريات الى واقع ملموس .. ولنأخذ العبرة مما حدث من فشل الدعوات السابقة التى قامت للعمل على عودة المجد الاسلامى مع أن من قاموا بها كانوا على درجة عاليه من الامتياز والنبوغ بشهادة الجميع ويكفى أن نذكر من بينهم عمالقة مثل محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وغيرهم لأنهم ركزوا معظم جهودهم على الجانب الالهى فى الدين كالتوحيد والعبادة ولم ينظروا الى الانسان الا على انه مكلف تلقى عليه الأوامر الدينية مع أن الدين فى حقيقته تعبير عن ملكات الانسان العليا وترجمة عن الانسان فى صميم ذاته وأنه ليس كالقوانين الوضعية التى تلقى اليه من حاكم أو تحت ضغوط المجتمع بتجاربه الناقصة وأفكاره القاصرة فنحن حينما بدأنا بدعوتنا بالتركيز على الجانب الانسانى اولا لم يستغرقنا هذا الجانب وانما وضعناه فى مكانه الصحيح من بناء الدين وبذلك نكون قد تلافينا القصور الذى قامت عليه الدعوات السابقة من التركيز على الجانب الالهى واغفال الجانب الانسانى وكذلك تلافينا قصور الدعوات الفلسفية التى حاولت اصلاح المجتمع عن طريق السياسة والاجتماع واثبتنا أن للدين منهجه الاصلاحى المستقل الذى يتفوق على كل ما عداه وهو فى نفس الوقت ركن اساسى من أركان الدين وبهذا يتم الترابط بين جوانب الدين الأساسية متكاملة : جانب الانسان مع الجانب الالهى — فنكون قد اثبتنا للدين منهجه للحياة من جهة ومن جهة اخرى تحاشينا فضول الفكر الفلسفى بمختلف اتجاهاته الذى سيطر وحده على هذا الجانب الانسانى طوال فترات التاريخ ومع ذلك لم يحل المشكل ولم يستطع الوصول الى المنهج السليم ..

هذا هو الطريق الوحيد ـــ فى نظرنا ـــ ولا طريق غيره لبناء الواقع الاسلامى ، والا ستظل نتخبط فى صراعات نظرية واجتهادات فردية وتعصبات وراثية لم يفد منها الا أعداؤنا المتربصون بنا فى كل لحظة والذين يعملون بكل قواهم للقضاء علينا ماديا ومعنويا لتختفى كلمة الله من ارض الله ولكن الله غالب على أمره معز لدينه ولو كره المجرمون .. وهو حسبنا ونعم الوكيل .. نعم المولى ونعم النصير .

***

## محتويات الكتاب


مقدمة : رسالة القرآن . . . . . .

**الفصل الأول** : الطوائف الثلاث . . .

١ ــ المؤمنون . . . . . .

٢ ــ الكافرون . . . . . .

٣ ــ المنافقون . . . . . .

**الفصل الثانى** : النعم الالهية . . . . . .

١ ــ نعمة الانســـانية . . . . . .

٢ ــ نعمة التسخير الكونى . . . . . ١٥

٣ ــ نعمة الهداية الدينية . . . . . ١٧

**الفصل الثالث** : الواجبات الدينية الأساسية . . . ٢١

١ ــ الأخـــوة . . . . . ٢٢

٢ ــ الأخلاق . . . . . ٣١

٣ ــ العبادة . . . . . ٤١

**الفصل الرابع** : الحرمات الأساسية . . . . . ٤٧

١ ــ حرمة المال . . . . . ٤٨

٢ ــ حرمة العرض . . . . . ٥٢

٣ ــ حرمة الحرية . . . . . ٥٤

**الفصل الخامس** : الحضارة الاسلامية . . . . ٥٨

١ ــ الفكر . . . . . ٦١

٢ ــ العلم . . . . . ٦٣

٣ ــ الفن . . . . . ٦٥

**الفصل السادس** : تفصيل موضوع الأخلاق . . . ٧٢

**خاتمة** : كلمة أخيرة . . . . . ٩٧



رقم الايداع ١٨٣٩ / ٨٣

الترقيم الدولى ٧ــ ٠١٠ــ٣٠٧ــ٩٧٧